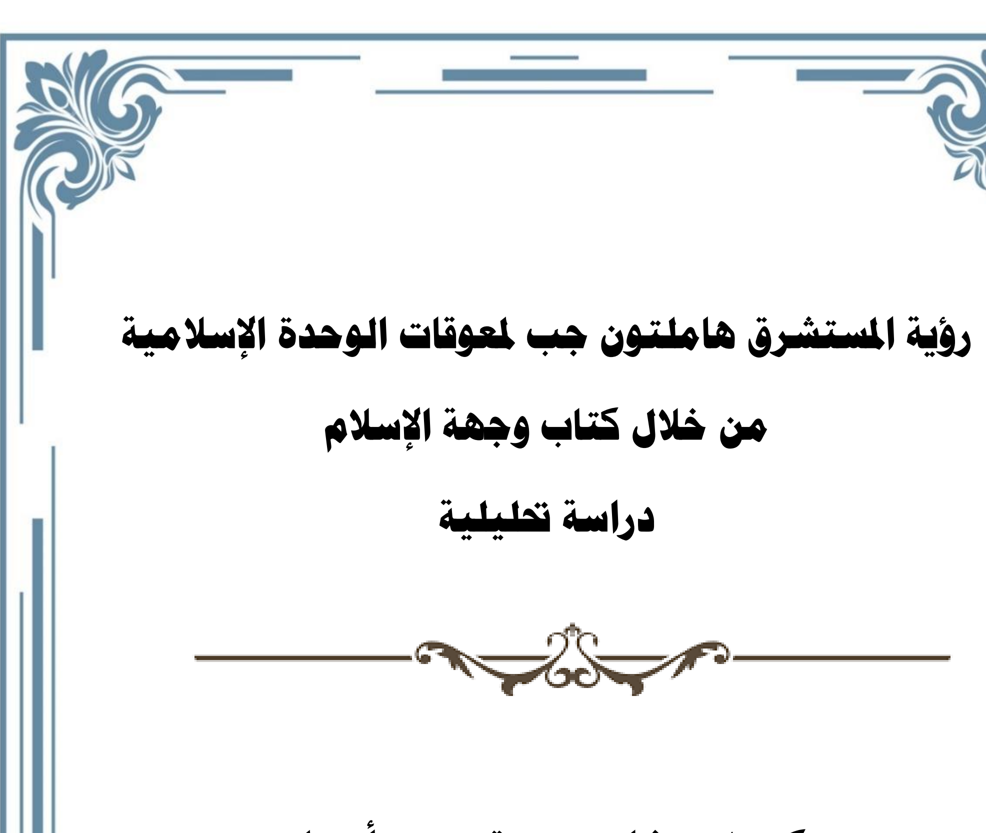


رؤية المستشرق هاملتون جب لمعوقات الوحدة الإسلامية
من خلال كتاب وجهة الإسلام
دراسة تحليلية

دكتور/ رمضان حميدة محمد أبوعلي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا جامعة الأزهر

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

البريد الإلكتروني:ramadanaboali.٨٥@azhar.edu.eg





الملخص

أثار المستشرق "هاملتون جب" في كتاب "وجهة الإسلام" عددا من الشبهات التي زعم أنها تعوق مسيرة الوحدة الإسلامية، لكن المبادئ الإسلامية وتطبيقاتها التاريخية قد أثبتت أن تلك المزاعم أثيرت بغرض القضاء على الوحدة الإسلامية وتفكيك روابطها، أما انتشار الإسلام واشتمال دولته على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة فإنه لا يؤدي إلى غياب الوحدة الإسلامية، لأن الإسلام يعترف بالتنوع في إطار الوحدة العامة، وأما مسلك المسلمين تجاه رعاياهم المسيحيين فإنه يقوم على البر، وأما الخلفاء فلم يكونوا فاسدين ولا طامعين ولا مستبدين، وإنما كانوا حريصين على وحدة الأمة الإسلامية وحمايتها من المخططات التدميرية، وفكرة الجامعة الإسلامية إنما كانت لمواجهة التحريضات الغربية التي تسعى إلى شق الصف الإسلامي، وأما الخلاف المذهبي والسياسي بين المسلمين فإنه لا يدعو إلى النزاع والصراع وإنما يدعو إلى التكامل والإبداع، لكن القوى الماكرة بالإسلام استهدفت من خلال إثارة الخلاف أن تقضي على الوحدة بين المسلمين، وأما التفاوت الثقافي بين المسلمين فهو نتيجة للغزو الفكري الذي هاجم الثقافة الإسلامية، وقد دعا البحث إلى ضرورة الكشف عن روافد الوحدة الإسلامية ورد الشبهات المثارة حولها، وبيان الحقائق التاريخية التي حرص المستشرقون على تزييفها، وتقديم رؤية معاصرة تسهم في بناء الوحدة الإسلامية، ومنهجي في الدراسة هو المنهج الاستقرائي، ومن خلاله أقوم بجمع الآراء التي ذكرها "هاملتون جب" حول معوقات الوحدة الإسلامية والوقوف على حقائق هذه الآراء بهدف الوصول إلى رؤيته الكلية التي أراد بيانها، وكذلك المنهج التحليلي، ومن خلاله أقوم بإعادة النصوص التي اعتمد عليها "هاملتون جب" إلى مبادئها الأولى وإخضاعها للتحليل والتفسير للوقوف على أغراضه التي سعى إليها، ونقدها وفق المنهج العلمي السليم، وخلصت الدراسة إلى حرص هاملتون جب على الانتقاص من دور المسلمين في بناء الوحدة وتحقيق التعايش، ونسبة الفضل في ذلك إلى الغرب المسيحي، وكذلك تبين أن انتشار الإسلام واشتمال دولته على العديد من الأجناس والتقاليد أمرٌ لا يؤدي إلى غياب الوحدة الإسلامية، ليس لأن الإسلام يعترف بالتنوع في

إطار الوحدة العامة، ومما وضح من الدراسة أن طعن "جب" في النظام السياسي الإسلامي مدعيا أنه استبدادي وقديم وعاجز عن مسايرة الحياة الحديثة بغرض فرض النظام السياسي الغربي على المسلمين، وتوصي الدراسة ببيان الحقائق التاريخية التي حرص هاملتون جب وغيره على تزييفها، وكذلك بالحرص على معالجة الأخطاء والمشكلات التي رصدها "هاملتون جب" كمعوقات للوحدة الإسلامية، وكان منصفاً فيها.

الكلمات المفتاحية: معوقات الوحدة الإسلامية، هاملتون جب، وجهة الإسلام، الاستشراق، مناهج المستشرقين

Orientalist Hamilton Jeb's vision of the obstacles to Islamic unity

Through the book The destination of Islam

An analytical study

Ramadan Hamida Muhammad Abu Ali
Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Tanta, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: ramadanaboali.٨٥@azhar.edu.eg

abstract:

The orientalist "Hamilton Gibb" raised in the book "The Destination of Islam" a number of suspicions that he claimed hinder the march of Islamic unity, but Islamic principles and their historical applications have proven that these allegations were raised for the purpose of eliminating Islamic unity and dismantling its ties, as for the spread of Islam and the inclusion of its state on many races, And ancient traditions, it does not lead to the absence of Islamic unity, because Islam recognizes diversity within the framework of general unity, and as for the behavior of Muslims towards their Christian subjects, it is based on righteousness, and as for the caliphs, they were not corrupt, greedy or tyrannical, but were keen on the unity of the Islamic nation and its protection from schemes The idea of the Islamic University was to confront

Western incitements that seek to split the Islamic ranks, As for the doctrinal and political dispute between Muslims, it does not call for conflict and conflict, but rather calls for integration and creativity, but the cunning forces of Islam aimed, by provoking dispute, to destroy unity among Muslims, and as for the cultural disparity between Muslims, it is the result of the intellectual invasion that attacked Islamic culture, and he called The research points to the necessity of revealing the tributaries of Islamic unity, refuting the suspicions raised about it, clarifying the historical facts that orientalists were keen to falsify, and presenting a contemporary vision that contributes to building Islamic unity, and my methodology in the study is the inductive approach, Through it, I collect the opinions mentioned by "Hamilton Gibb" about the obstacles to Islamic unity and stand on the facts of these opinions in order to reach his overall vision that he wanted to explain, as well as the analytical approach, and through it I return the texts on which "Hamilton Gibb" relied on their first principles and subject them to analysis And the interpretation to find out the purposes that he sought, and criticize them according to the sound scientific method, It was also shown that the spread of Islam and the inclusion of its state on many races and traditions does not lead to the absence of Islamic unity, not because Islam recognizes diversity within the framework of general unity. Keeping pace with modern life for the purpose of imposing the Western political

system on Muslims, The study recommends clarifying the historical facts that Hamilton Gibb and others were keen to falsify, as well as keenness to address the errors and problems that Hamilton Gibb identified as obstacles to Islamic unity, and he was fair in them.

Keywords: Obstacles to Islamic Unity, Hamilton Gibb, The point of Islam, Orientalism, Orientalist approaches

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد.

فقد حرص بعض المستشرقين على هدم الوحدة الإسلامية وتفكيك روابطها، من خلال إثارة الشبهات حول روافدها المتنوعة، ومهاجمة آثارها النافعة، وتشويه صورتها الناصعة.

ومن هؤلاء المستشرقين: "هاملتون جب" الذي تناول في كتاب "وجهة الإسلام" عددا من الشبهات التي زعم أنها تؤدي إلى تعويق مسيرة الوحدة الإسلامية. وفي هذا البحث رصدٌ لأبرز هذه المزاعم وتحليلها من خلال الوقوف على أغراض قائلها، وسرد المبادئ والوقائع التي تسهم في بيان الحقيقة وتجليتها.

أهمية الموضوع.

أولا: خطورة هذا الكتاب "وجهة الإسلام" حيث يعده بعض الباحثين[1] من الكتب المنصفة للإسلام. لكنه في المقابل دسّ في هذا الكتاب العديد من الشبهات والأكاذيب حول الدين الإسلامي.

ثانيا: اهتمام المستشرق "هاملتون جب" بالوحدة بين المسلمين، وحرصه على الكشف عن أسبابها والبحث عن وسائل تمزيقها.

ثالثا: تنوع المعوقات التي زعم "هاملتون جب" أنها تؤدي إلى التفريق بين المسلمين.

أسباب اختيار الموضوع.

أولا: تلاعُب المستشرق "هاملتون جب" بالوقائع التاريخية الإسلامية وتوظيفها لصالح الأغراض الاستشراقية.

ثانيا: رد الشبهات المثارة حول المبادئ الإسلامية التي تسهم في تحقيق الوحدة بين الناس.

---

[1] انظر: التعريف والنقد – المستشرق هاملتون جب وأعماله في الدراسات العربية الإسلامية ١٨٩٥ – ١٩٧١م: د/ سماء المحاسني، (٤/ ٨٩٣)، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠١م.

الهدف من الدراسة.

أولا: بيان رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الاجتماعية للوحدة الإسلامية وتحليلها.

ثانيا: الكشف عن رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات السياسية للوحدة الإسلامية وتحليلها.

ثالثا: إيضاح رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الثقافية للوحدة الإسلامية وتحليلها.

رابعا: الوقوف على منهج المستشرق هاملتون جب في رؤيته لمعوقات الوحدة الإسلامية.

منهجي في البحث.

أولا: المنهج الاستقرائي: وهو (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها ؛ للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا).[١]

ومن خلاله أقوم بجمع الآراء التي ذكرها "هاملتون جب" حول معوقات الوحدة الإسلامية والوقوف على حقائق هذه الآراء بهدف الوصول إلى رؤيته الكلية التي أراد بيانها.

ثانيا: المنهج التحليلي: وهو (تحليل الظواهر إلي عناصرها الأولية).[٢]

ومن خلاله أقوم بإعادة النصوص التي اعتمد عليها "هاملتون جب" إلى مبادئها الأولى وإخضاعها للتحليل والتفسير، بقصد الكشف عن منهجية البحث لدى المستشرق "هاملتون جب" والوقوف على أغراضه التي سعى إليها، ونقدها وفق المنهج العلمي السليم.

كما أنه لا غنى لي عن بقية المناهج العلمية.

الدراسات السابقة.

توجد بعض الدراسات التي تناولت التراث الفكري للمستشرق "هاملتون جب"، منها:

أولا: رؤية هاملتون جب للتجديد الإسلامي في الوطن العربي من خلال كتابه "دعوة تجديد الإسلام" وهي رسالة ماجستير للباحث عبدالرازق بن حميد المحمدي، بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، في عام ١٩٩٨م.

---

[١]() المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم: د/عوض الله جاد حجازي، صـ:١٨٤، ط/٦، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، بدون تاريخ.

[٢]() مناهج البحث العلمي: د/ عبد اللطيف العبد، صـ: ١٥، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

ثانيا: هاملتون جب ودوره في دراسة التاريخ العربي الإسلامي" وهي رسالة دكتوراه للباحث محيي الدين صالح مرزوقة، بالجامعة الأردنية، في عام ٢٠١٢م.

وقد تناولت الدراستان بعض الجوانب الفكرية والتاريخية والحضارية التي كتبها المستشرق "هاملتون جب".

وتختلف دراستي عنهما في تفردها بدراسة رؤية المستشرق "هاملتون جب" لمعوقات الوحدة الإسلامية.

تقسيم الدراسة.

لقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، وبيانها كما يأتي:

التمهيد: التعريف بأهم مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الاجتماعية للوحدة الإسلامية.

المبحث الثاني: رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات السياسية للوحدة الإسلامية.

المبحث الثالث: رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الثقافية للوحدة الإسلامية.

المبحث الرابع: منهج المستشرق هاملتون جب في رؤيته لمعوقات الوحدة الإسلامية.

الخاتمة.

الباحث

التمهيد: التعريف بأهم مفردات عنوان البحث.

أولا: تعريف كلمة رؤية.

يدل لفظ رأى في اللغة العربية على (نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرةٍ. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر).[١] والرؤية هي: (النظر بالعين والقلب. وتطلق على العلم).[٢] وهي بمعنى التأمل والتفكر، يقال (رأى الشَّخصُ الأمرَ: تأمَّله وتروَّى فيه. وتطلق الرؤية على الرأي الذي يعتقده العالِم وينادي به).[٣] فالرؤية في اللغة هي النظر المؤدي إلى الاعتقاد في الأمر والمناداة به.

وتطلق الرؤية في الاصطلاح على (المشاهدة بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازا، وإذا كانت مع الإحاطة سميت إدراكا).[٤] فالرؤية هي: المشاهدة البصرية والدراسة العلمية المؤدية إلى الاعتقادات الفكرية وإعلانها. والمراد بها هنا: الفكرة التي نادى بها المستشرق في كتابه.

ثانيا: تعريف كلمة المستشرق.

يدل لفظ [شرق] في اللغة العربية على (جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية في شرقي الجزيرة العربية).[٥] ويقال: (استشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم).[٦] والاستشراق: (أسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه).[٧]

---

[١]() معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (٢/ ٤٧٢)، دار الفكر ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

[٢]() لسان العرب: الإمام/ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، (١٤/ ٢٩١)، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت ١٤١٤هـ.

[٣]() معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (٢/ ٨٣٨)، الطبعة الأولى، عالم الكتب ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨م.

[٤]() المعجم الفلسفي: د/ جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، (١/ ٦٠٤)، الشركة العالمية للكتاب – بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

[٥]() المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، (١/٤٨٠)، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

[٦]() معجم متن اللغة: أحمد رضا، (٣/ ٣١٠)، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م.

[٧]() معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٢/ ١١٩٢).

ويطلق الاستشراق في الاصطلاح على (الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام).[1] ونظرًا لتغير معنى الشرق جغرافيا بحسب المكان الذي يتواجد فيه الإنسان فإن (مفهوم الشرق هنا ليس جغرافيا، فقد جرى العُرف الاستشراقي على إطلاق الشرق على دول الإسلام).[2] وعلى هذا يكون معنى المستشرق: (كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه).[3] وهذا ما أقصده في هذا البحث.

ثالثا: التعريف بشخصية هاملتون جب.

هاملتون جب: (مستشرق إنجليزي، ولد في مدينة الإسكندرية في ٢ يناير ١٨٩٥م وتوفي في أكسفورد ٢٢ أكتوبر ١٩٧١م، تعلم في المدرسة الثانوية في أسكتلنده، وفي عام ١٩١٢م التحق بجامعة أدنبرة، ودرس اللغات العربية والعبرية والآرامية، وفي عام ١٩٢٢م حصل على الماجستير من جامعة لندن، وفي عام ١٩٢٦– ١٩٢٧م زار الشرق زيارة طويلة، وبدأ أثناءها دراسة الأدب العربي المعاصر).[4] وأصبح هاملتون جب (عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع اللغوي في القاهرة، وعمل أستاذا للغة العربية في جامعة لندن ١٩٣٠م، وفي أكسفورد ١٩٣٧م، وفي هارفارد ١٩٥٥م، ومديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط ١٩٦٢م، واجتمع بكبار أدباء العرب وقرأ مصنفاتهم في رحلاته إلى مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب. واهتم بترجمة الحركات الأدبية ابتداءً من القرن التاسع عشر ممحصاً إياها بالنسبة لأصولها الاجتماعية والسياسية.

ومن كتبه: "فتوح العرب في آسيا الوسطى وعلاقاتها الأولى ببلاد الصين"، و"المدخل إلى تاريخ الأدب العربي"، و"دراسات في الأدب المعاصر"، و"الخلافة في الإسلام"، و"الاتجاهات الحديثة في الإسلام").[5] وهو الكتاب محل الدراسة.

---

[1]() الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ١٨، دار المعارف بالقاهرة ١٩٩٧م.

[2]() الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، أ. د/ محمد إبراهيم الفيومي، صـ: ١٣ بتصرف، العدد/ ٣ من سلسلة قضايا إسلامية، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

[3]() الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ١٨

[4]() موسوعة المستشرقين: د/ عبدالرحمن بدوي، صـ: ١٧٤، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٣م.

[5]() المستشرقون: الأستاذ/ نجيب العقيقي، (٢/ ٥٥١ – ٥٥٤) باختصار، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.

رابعا: تعريف كلمة معوقات.

يطلق لفظ [عَوَقَ] على الصرف والحبس. يقال: (عاقه عن الشيء يعوقه عوقا: صرفه وحبسه. والتعويق: التثبيط. وفي التنزيل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[1] والمعوقون: قوم من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي ﷺ).[2] والعائق: الشاغل والمانع. يقال: عاقه عن الشيء عوقا: منعه منه وشغله عنه).[3] ولم يخرج المعنى الاصطلاحي للمعوقات عن المعنى اللغوي، فالعائق في الاصطلاح: المانع.[4] وقيل (الصارف عمّا يراد من خير).[5] والمراد بالمعوقات: الموانع والمثبطات التي تشغل صاحبها وتحبسه وتصرفه عن الوصول إلى غايته.

خامسا: تعريف الوحدة الإسلامية.

تطلق الوحدة في اللغة العربية على الانفراد[6] كما تطلق على الاجتماع والاتفاق والاندماج. يقال: (اتَّحد الشَّخصُ: انفرد، واتَّحدت الأشياءُ: اندمجت، أي صارت شيئًا واحدًا، واتَّحد القومُ: اتّفقوا أو انضمّوا إلى وحدة يجمعهم فيها نوع العمل، واتَّحد بفلان: اجتمع به).[7] والوحدة: (في النظام السياسي: اتحاد أمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد بموجبها يَكُنَّ أمة واحدة).[8]

والوحدة في الاصطلاح: (كون الشيء بحيث لا ينقسم إلى أمور متشاركة).[9] والوحدة الإسلامية هي اجتماع المسلمين واتفاقهم واندماجهم بحيث لا ينقسمون إلى أمم متعددة.

---

[1] () سورة الأحزاب، جزء من الآية: ١٨.

[2] () لسان العرب: الإمام/ ابن منظور، (١٠/ ٢٧٩- ٢٨٠) باختصار.

[3] () المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، (٢/٦٣٧).

[4] () التعريفات الفقهية: الشيخ/ محمد عميم الإحسان البركتي، صـ: ١٤١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

[5] () المفردات في غريب القرآن: الإمام/ أبو القاسم الراغب الحسين بن محمد الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، صـ: ٥٩٧، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ١٤١٢هـ.

[6] () مختار الصحاح: الإمام/ محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، صـ: ٣٣٤، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

[7] () معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٣/ ٢٤٠٩).

[8] () المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، (٢/١٠١٧).

[9] () كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الإمام/ محمد بن علي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، (٢/ ١٧٧٣)، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة: د/ عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٩٩٦م.

سادسا: التعريف بكتاب وجهة الإسلام.

بالنظر في مقدمة كتاب وجهة الإسلام ـ نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي[1] تبين أن الكتاب يحتوي على مقدمة وستة فصول، أما المقدمة ففيها بيان أهمية الكتاب وطريقة توزيعه على المؤلفين، والفصل الأول للأستاذ/ هاملتون جب، متحدثا عن وجهة الإسلام في ظل الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، أما الفصل الثاني فمن تأليف الأستاذ لويس ماسينيون بجامعة باريس متحدثا عن إفريقيا ما عدا مصر، أما الفصل الثالث فمن تأليف الأستاذ كامبفاير بجامعة برلين متحدثا عن مصر وآسيا الغربية، أما الفصل الرابع فمن تأليف العقيد فرار بالجيش الهندي سابقا متحدثا عن شعوب الهند، أما الفصل الخامس فمن تأليف الأستاذ برج بجامعة ليدن متحدثا عن إندونيسيا، أما الفصل السادس فمن تأليف الأستاذ/ هاملتون جب ملخصا الحديث عن وجهة الإسلام.

وقد قام الأستاذ/ محمد عبد الهادي أبو ريدة[2] بترجمة الكتاب من اللغة الإنجليزية إلى العربية، ويقع الكتاب في ٢٦٤ صحيفة، وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن المطبعة الإسلامية بحارة الروم بالقاهرة في ١٤ صفر ١٣٥٣هـ/ ٢٧ مايو ١٩٣٤م. وقد اعتمدت في بحثي على ما كتبه الأستاذ/ هاملتون جب في الفصلين الأول والأخير فقط، حيث لم تتناول الفصول الأخرى الحديث عن معوقات الوحدة الإسلامية، فقد جاء حديثها مركزا حول توصيف أحوال البلاد الإسلامية من حيث نشأة الحركات الحديثة فقط، أما ما كتبه الأستاذ/ جب فقد ركز في الفصل الأول[3] على التأصيل لعوامل نشأة الحركات الحديثة وتأثيرها في الوحدة الإسلامية، ثم قام بجمع وتلخيص بعض الأفكار في الفصل الأخير[4] من الكتاب.

[1] () وجهة الإسلام– نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي: هاملتون جب وآخرون، صـ: ١– ٢، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م.

[2] () الأستاذ/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، ولد في العريش ١٩٠٩م، والتحق بكلية الآداب جامعة الملك فؤاد، وحصل على درجة الليسانس من قسم الفلسفة ١٩٣٤م، وحصل على الماجستير والدكتوراه، وكان أستاذا للفلسفة منذ عام ١٩٦٣م، وترأس اقسام الفلسفة في جامعات مصر والبلدان العربية، وكتب الكثير من البحوث العلمية ونشرت باللغة العربية واللغات الأجنبية، وشارك في العديد من المؤتمرات الدولية، وتوفي عام ١٩٩١م. انظر: الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة كتاب تذكاري: إعداد/ عبدالله العمر، صـ: ١١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

[3] () من أول الكتاب حتى صـ: ٥٣.

[4] () من صـ: ٢٠٤ إلى صـ: ٢٤٨.

سابعا: تعريف الدراسة التحليلية.

يطلق لفظ الدراسة على معان كثيرة، منها: تتبع القراءة. (وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه).[1] ويقال: (درست الكتاب أي قرأته. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾[2] أي قرأتَ كتب أهل الكتاب. ودرستُ الكتاب أدرسه درساً أي ذللته بكثرة القراءة).[3] فالدراسة هي تكرار القراءة بقصد الوصول إلى غاية.

أما التحليل فهو (منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكا أو تركيبا أو تقويما. فهو إذاً يتلخص في عمليات ثلاث قد تجتمع كلها أو بعضها في العمل الواحد وقد تنفرد إحداها ببناء البحث، وهي حسب الترتيب المنطقي للبحث العلمي: [التفسير] ويعبر عنه بالتفكيك، و[النقد] ويعبر عنه بالتقويم، ثم [الاستنباط] ويعبر عنه بالتركيب).[4] والمقصود بالدراسة التحليلية: تكرار قراءة المادة العلمية بقصد تفسيرها ونقدها واستنباط النتيجة البحثية منها.

---

[1] () معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني، (٢/ ٢٦٨).

[2] () سورة الأنعام، جزء من الآية: ١٠٥ .

[3] () لسان العرب: الإمام/ ابن منظور، (٦/ ٧٩).

[4] () أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د/ فريد الأنصاري، صـ: ١٩٣ بتصرف، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

المبحث الأول:

رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الاجتماعية للوحدة الإسلامية.

أثار المستشرق "هاملتون جب" في كتاب "وجهة الإسلام" عددا من الشبهات التي زعم أنها تعوق مسيرة الوحدة الإسلامية، وهي تتعلق بالأحوال الاجتماعية للعالم الإسلامي بما تشتمل عليه من لغات وأجناس ومعاملات وعادات وتقاليد، ويتبين ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: انتشار الإسلام واشتمال دولته على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة.

فقد تحدث هاملتون جب عن انتشار الإسلام في العالم، ودخوله إلى عدد كبير من الدول، ثم زعم أن هذا الانتشار من شأنه أن يعوق مسيرة الوحدة الإسلامية، وقد عبّر عن هذا عندما أكّد أن (التوزيع الجغرافي الشاسع للشعوب الإسلامية يضم عدداً عظيماً من الشعوب المختلفة في الجنس واللغة والخُلق والاستعدادات الموروثة، وانتشار الإسلام على هذه الأصقاع الشاسعة واشتماله على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة يحول دون بلوغ وحدة حقيقية في المدنية الإسلامية، لأن بقاء العادات التي رسخت قديما وأساليب التفكير المختلفة في طبيعتها سيؤثر تأثيرا قويا في ثقافة كل إقليم على حدة، حتى لا يترك مجالا لتقاليد شاملة ولا لأي وحدة تامة في الشعور).[1] فهو يبين أن اتساع الرقعة الإسلامية واشتمالها على أجناس مختلفة في عاداتها وتقاليدها لا يدع مجالا لحفظ الوحدة الإسلامية.

والناظر في هذه الرؤية يجد أن المستشرق "هاملتون جب" يحرص على (بعث الروح القومية في الشعوب الإسلامية كواحد من الوسائل الهامة في سبيل تجزئة الأمة الإسلامية وتفتيتها إلى عدة شعوب، من خلال تأصيل الوجود القومي، وذلك بالعودة إلى التاريخ القديم السابق على ظهور الإسلام، وعلى دخول الشعوب الإسلامية فيه، وإبراز السمات القومية وإعلائها على السمات الإسلامية، وتقوية النعرة القومية والنزعة العِرقية الانفصالية، والاتخاذ من التراث التاريخي والحضاري القديم كأساس للتفرقة).[2]

---

[1]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٩- ١٠ باختصار.

[2]() آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: د/ محمد خليفة حسن، صـ: ٣٩ باختصار، الطبعة الأولى، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة ١٩٩٧م. وانظر: وحي الله – حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة – نقض مزاعم المستشرقين: أ. د/ حسن ضياء الدين عتر، صـ: ٤٥، الطبعة الأولى، دار المكتبي سورية دمشق ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.

ويرى "جب" أن الإسلام قد تغلب على اختلاف الأجناس وتنوع العادات والتقاليد في البلاد المفتوحة من خلال (سرعة الفتح الإسلامي، وقدرته على محو تقاليد البلاد المفتوحة، والاختلاط الدائم بين أنحاء العالم الإسلامي من خلال فريضة الحج والأعمال التجارية).[١] والناظر إلى هذه العوامل يجد أن المستشرق "جب" قد حرص من خلالها على وصف الإسلام بالدين القاهر[٢] الذي يفرض ثقافته ونظامه على البلاد المفتوحة ويحرص على حرمانها من عاداتها وتقاليدها. والحقيقة أن الإسلام لم يكن قاهرا للناس على اعتناقه أو التمسك بنظامه، بل ترك لهم الحرية في ذلك، فقد (جعل مبدأه تجنب التدخل في شئون اليهود والنصارى الداخلية، فلهم أنظمتهم الخاصة يديرون شئونهم كما يشاءون، ولهم مجالسهم ومدارسهم الحرة، ولهم ملء الحرية في وضع أنظمة أحوالهم الشخصية، وقد كان المسلمون يمنحون هذه الحرية دائما لرعاياهم الأوروبيين في إسبانيا وإيطاليا وفرنسا).[٣] أما الوحدة التي أرادها الإسلام فلم تطلب من الناس جميعا أن يكونوا نسخا متشابهة في كل شيء، وإنما أرادت أن يحتفظ كل إنسان بشخصيته وكل إقليم بعاداته بعد تهذيب الشخصيات وتنقية العادات مما يخالف تعاليم الإسلام في حكم البلاد، ومن هنا (كانت الدولة الإسلامية واحدة مع تعدد الأقاليم، فلكل إقليم حكومته التي تنفذ أحكام القرآن والسنة وما يكون مصلحة متفقة مع عادات ذلك الإقليم بما لا يخالف أحكام الإسلام).[٤] فقد (أقرّ الفقه الإسلامي تقاليد وعادات كانت سائدة في الأقاليم التي دخلها، ولم يحرمها القرآن والسنة، ولذا نجد فيه قوانين كانت موجودة عند قدماء المصريين أو عند الفرس والبابليين أو كانت عند العرب، ولا شيء في ذلك ما دامت هذه الأشياء داخلة في إطار الأسس الإسلامية العامة).[٥] وبهذا تتعدد الشخصيات وتتنوع العادات في إطار الوحدة الإسلامية العامة، مما يسهم في حماية البلاد المفتوحة من التفرق والتعصب، ويدعو إلى التعايش والسلام، كما أن الإسلام لم يحرص على محو الثقافات الموجودة في البلاد المفتوحة؛ بل استفاد منها وحوّلها إلى

---

[١]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ١٢- ١٤ بتصرف.

[٢]() لقد قرر "هاملتون جب" هذا الأمر بقوله: لقد اقتنع متبعوا الإسلام جميعا بأن الإسلام دين قاهر، ووجد المتكلمون ما يؤيدها في القرآن، وجعلها الفقهاء أساسا لشرحهم الشريعة الإسلامية، وقبلها الجمهور كأنها حقيقة بدهية. انظر: وجهة الإسلام: صـ: ١٧.

[٣]() الاستشراق رسالة استعمار – تطور الصراع الغربي مع الإسلام: د/ محمد إبراهيم الفيومي، صـ: ٤١، دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

[٤]() الوحدة الإسلامية: الإمام/ محمد أبو زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، صـ: ١٢٩، دار الرائد العربي بيروت لبنان، بدون تاريخ.

[٥]() الإسلام والمستشرقون: د/ عبد الجليل شلبي، صـ: ٩٤، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٧م.

خدمة الإسلام والمسلمين. ويدل على هذا أمثلة كثيرة، منها: (ديوان[1] الأعمال والجبايات[2]. وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمر ﷺ يقال لسبب مال أتى به أبو هريرة ﷺ من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه، فسموا إلى إحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق، فأشار خالد بن الوليد بالديوان، وقال: رأيت ملوك الشام يدونون، فقبل منه عمر. وقيل: بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان، فقيل له: ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم؟ فإن من تخلف أخل بمكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب. فأثبت لهم ديواناً).[3] وفي هذا تأكيد على استفادة الثقافة الإسلامية من النظم الإدارية للبلاد التي فتحها المسلمون.

وهكذا يتبين أن انتشار الإسلام واشتمال دولته على أجناس كثيرة وتقاليد قديمة أمرٌ لا يؤدي إلى غياب الوحدة الإسلامية، ليس لأن الإسلام دين قاهر؛ ولكن لأنه يعترف بالتنوع في إطار الوحدة العامة. وقد أسهم هذا الاعتراف وتطبيقاته المتنوعة في حماية الأمة الإسلامية من التفرق، وإكسابها العديد من النظم النافعة في إدارة شئون الدولة وتحقيق أهدافها المرجوة.

المطلب الثاني: **مسلك المسلمين حيال رعاياهم المسيحيين**.

أعلن المستشرق "هاملتون جب" أن التعامل الإسلامي مع المسيحيين من عوائق الوحدة الإسلامية، حيث زعم أن المسلمين في بداية الفتح الإسلامي قد عاملوا غيرهم بتسامح بسبب ضعف غير المسلمين، غير أن هذا التسامح لم يكن كاملاً؛ وإنما كان فيه أنفة وغرور، ثم تطور إلى تعصب تام وحرمان من المشاركة في الحقوق السياسية والاجتماعية، وقد ظهرت هذه الرؤية في قوله: (أما مسلك المسلمين حيال رعاياهم المسيحيين فلم يكن ودياً، فقد أدى المسيحيون خدمات نافعة، زارعين ودافعي ضرائب وموظفين في الإدارة، ونظرًا لضعفهم عوملوا بتسامح غير أن هذا التسامح كان مشوباً بنوع من الأنفة الأرستقراطية[4] التي أنزلتهم إلى مكانة وضيعة، وكانت آخر الأمر أشد إيذاءً للمسلمين

---

[1]() الديوان: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام/ ابن الأثير محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٢/ ١٥٠)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

[2]() الجباية: جمع الخراج والمال. انظر: التعريفات الفقهية: الشيخ/ محمد عميم الإحسان البركتي، صـ: ٦٨.

[3]() ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: الإمام/ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (المتوفى: ٨٠٨هـ)، (١/ ٣٠٣)، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

[4]() الأرستقراطيَّة: نظام سياسيّ طبقيّ استبداديّ، يتولى فيه الحكم طبقة من النبلاء أو الأشراف دون عامّة الشعب. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١/ ٨٤).

والمسيحيين جميعا من التعصب الصريح التام. على أن الدولة الإسلامية ظلت بعيدة عن أن تدمج في ذاتها الرعايا غير المسلمين حتى ذاقت وبال ضيق فكرة اشتراك المواطنة في الإسلام، تلك الفكرة التي تَحرِم غير المسلمين من حقوق المشاركة في الوطن).[١] فهو يتهم المسلمين بالكبر والغرور والتعصب المانع من مشاركة غيرهم في إدارة شئون البلاد، ويؤكد يرى أن هذه المشكلة مرتبطة بالإسلام نفسه، فيقول: (إن مشكلة الرعايا غير المسلمين في القوميات المقبلة قائمة إن كانت المبادئ الإسلامية ستظل أساسا لها، أما إذا نُبِذت هذه الأفكار القديمة التي كانت تنظم العلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم؛ فقد زالت نهائيا العقبات التي كانت قائمة في سبيل تكوين قوميات متجانسة).[٢] وفي هذا اتهام للمسلمين بالتعصب والكبر وحرمان غيرهم من المشاركة في الوطن، وأن هذا نابع من المبادئ الإسلامية، مما يؤدي إلى تعويق مسيرة الوحدة في المجتمع الإسلامي.

وإن الناظر إلى المبادئ الإسلامية يجد أنها بريئة من هذه الاتهامات، فقد ارتكزت هذه المبادئ على قول الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٣] وقوله أيضا: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٤] وقوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة.»[٥] وتأسيسا على هذا تعامَلَ المسلمون مع غيرهم معاملة حسنة، تظهر فيها معالم الرفق والرحمة والعدل والبر والتعاون والوحدة، وذلك من خلال (الرفق بضعيفهم، وسدّ خلّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف والرحمة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا بهم، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم

---

[١]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ١٨ باختصار.

[٢]() المصدر السابق، صـ: ٢٣٩ باختصار.

[٣]() سورة الممتحنة، الآية: ٨.

[٤]() سورة المائدة، جزء من الآية: ٨.

[٥]() أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الخراج، (٤/ ٦٥٨ رقم ٣٠٥٢)، وقال محققه: إسناده حسن. انظر: سنن أبي داود: الإمام/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ/ شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم).[1] فالمسلمون لا يتكبرون على غيرهم ولا يحرصون على أذيتهم، بل يرفعون عنهم الظلم والأذى، فعندما (أَسر التتار[2] عددا من المسلمين وأهل الذمة، قام الإمام ابن تيمية[3] بمخاطبتهم، فسمحوا بإطلاق المسلمين، فقال: بل جميع من معكم من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نَفْتَكُّهم [نطلب فكاكهم] ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة).[4] وفي هذا دليل على خلو المعاملة مع غير المسلمين من الكبر والغرور والتعصب، وتأكيد على التسامح والرحمة والمساواة والتعاون بين المسلمين وغيرهم. وقد شهد بذلك المستشرق "غوستاف لوبون"[5] في كتابه حضارة العرب، حيث قال: (كان يمكن أن تُعمِي فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ولكنهم اجتنبوا ذلك، فقد أدركوا أن النظم والديانات ليست مما يُفرَض قسرًا، فعاملوا أهل البلاد المفتوحة بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم

---

[1] () أنوار البروق في أنواء الفروق: الإمام/ أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، (٣/ ٣١) باختصار، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

[2] () (التتار: شعب بدوي كانوا يسكنون أطراف بلاد الصين، وهم سكان براري، ومشهورون بالشر والغدر، حياتهم رعوية، ونظامهم قبلي، يحبون الحرب والسلب، يعبدون الكواكب ويسجدون للشمس، وتنتشر عندهم الإباحية، وتعرف ديانتهم القديمة بالشامانية، والتتار هم أصل القبائل المتفرعة عنهم جميعا من مغول وسلاجقة). انظر: التاريخ الإسلامي – الدولة العباسية: الأستاذ/ محمود شاكر، (٢/ ٣٢٩)، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.

[3] () الإمام ابن تيمية: (٦٦١- ٧٢٨هـ = ١٢٦٣- ١٣٢٨م)، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، ثم سافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، ومات بها، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. ومن كتبه: السياسة الشرعية والفتاوى والإيمان ومنهاج السنة وغيرها. انظر: الأعلام: للإمام/ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، (١/ ١٤٤)، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين٢٠٠٢م.

[4] () مجموع الفتاوى: الإمام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (٢٨/ ٦١٨) بتصرف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

[5] () غوستاف لوبون: ولد في منطقة النورماندي عام ١٨٤١م، ومات في باريس عن عمر طويل عام ١٩٣١م، كتب في العديد من المجالات والفروع العلمية، ومنها الطب والفيزياء والآثار وعلم النفس الاجتماعي. ومن أهم كتبه: حضارة العرب، القوانين النفسية لتطور الشعوب، سيكولوجية الجماهير). انظر: سيكولوجية الجماهير: غوستاف لوبون، ترجمة/ هاشم صالح، صـ: ١٣: ١٤، الطبعة الأولى، دار الساقي – لبنان ١٩٩١م.

ونظمهم ومعتقداتهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينا سمحًا مثل دينهم).[١]

كما دلت الوقائع التاريخية على أن النظام الإسلامي لم يحرم غير المسلمين من المشاركة في إدارة شؤون الوطن، فهذا (الخليفة العباسي المعتضد بالله كان له وزير نصراني اسمه: عبدون بن صاعد، دخل يوما عند القاضي إسماعيل بن إسحاق، فقام له ورحب به. وقال: هذا الرجل يقضي حوائج الناس، وهو سفير، بيننا وبين المعتضد، وهذا من البر).[٢] وقد شهد المستشرق "آدم مِتز"[٣] بكثرة عدد الموظفين في الدولة الإسلامية من غير المسلمين، فقال: (من الأمور التي نعجب لها: كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام).[٤] وفي هذا تأكيد على عدم حرمان غير المسلمين من تولي الوظائف[٥] والمشاركة في إدارة الوطن في ظل النظام الإسلامي.

فإذا كانت المبادئ الإسلامية بريئةً من التعصب، والتطبيقات العملية في الدولة الإسلامية تؤكد على التسامح بين المسلمين وغيرهم؛ فإن الادعاء بأن المسلمين يضطهدون غيرهم باطل. أما المستشرق "هاملتون جب" فقد ادعى هذا؛ لأنه يسير مع إخوانه من (المستشرقين الذين يعمدون إلى إظهار الطوائف والأقليات في صورة مجتمعات مضطهَدة داخل المجتمع الإسلامي بهدف تشويه صورة الإسلام في الغرب وإظهاره في صورة الدين المتعصب المضطهِد لطوائفه غير المسلمة، وتحث الدراسات الاستشراقية أهل الطوائف والأقليات على التخلص من الاضطهاد المزعوم، وتشجعهم على التمرد والثورة وإثارة الفتن والاضطرابات داخل المجتمع الإسلامي، بهدف تجزئة هذا العالم وشرذمته

---

[١]() حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، صـ: ٦٢٩- ٦٣٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة ٢٠١٣م.

[٢]() ترتيب المدارك وتقريب المسالك: الإمام/ أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، (٤/ ٢٨٥)، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ١٩٧٠م.

[٣]() آدم متز : مستشرق ألماني، استقر في بازل بسويسرة، ولد في جنوب ألمانيا ١٨٦٩م واهتم بالأدب العربي في القرن الرابع الهجري وما تلاه، وتوفي ١٩١٧م وهو في الثامنة والأربعين من عمره، ومن أهم كتبه: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. انظر: موسوعة المستشرقين: د/ عبدالرحمن بدوي، صـ: ٥٤٤.

[٤]() الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – أو عصر النهضة في الإسلام: آدم متز، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، (١/ ١٠٥)، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ.

[٥]() للاستزادة في هذه النقطة انظر: الإسلام والمستشرقون: د/ عبد الجليل شلبي، صـ: ٤١ وما بعدها.

وتقسيمه إلى دويلات طائفية لإضعافه والقضاء على وحدته).[1] فالهدف الاستشراقي من إثارة هذه الشبهة يتمثل في إثارة الفتن التي تؤدي إلى هدم الوحدة الإسلامية، والقضاء على الروافد المؤدية إليها من خلال تشويه المبادئ الإسلامية والثورة عليها.

[1]() آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: د/ محمد خليفة حسن، صد: ٢٨- ٢٩ باختصار.

المبحث الثاني:

رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات السياسية للوحدة الإسلامية.

حرص المستشرق "هاملتون جب" في كتاب "وجهة الإسلام" على إثارة عدد من الشبهات حول النظام السياسي الإسلامي، حيث طعن في أخلاق الخلفاء واتهمهم بالطمع والاستبداد، كما حرص على تعظيم الخلافات المذهبية في المجتمع الإسلامي وتغليفها بطابع العصبية والطائفية، وزعم أن التقاليد السياسية الإسلامية قد أدت إلى تعويق مسيرة الوحدة الإسلامية، ويتبين ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: أخلاق الخلفاء وأهدافهم.

تناول "جب" أخلاق الخلفاء وأهدافهم في الدولة الإسلامية بالنقد والتجريح، زاعماً أنهم كانوا يحرصون على المطامع الشخصية، مما أدى إلى فساد نظمهم الإدارية، وتظهر هذه الاتهامات في قوله: (إن فكرة الجامعة الإسلامية التي بلغت ذروتها في حكم السلطان عبد الحميد الثاني[1] قُدّر لها أن تتحطم على صخرتين، أولاهما: أخلاق الأشخاص الذين ادعوا الخلافة ومطامعهم وفساد إدارتهم... والثانية: المبادئ السياسية التي كانت تسعى وراء أغراض رجعية استبدادية... وعلى ذلك قُدِّر لفكرة الجامعة الإسلامية أن يكون مبدؤها السياسي عنصرا مُضْعِفاً وباعثا على التنافر).[2] فهو يقدح في أخلاق الخلفاء المسلمين ويهاجم المبادئ الإسلامية التي استندوا إليها في إدارة شئونهم، زاعماً أنها قديمة ورجعية وباعثة على التفرق والعصبية ومؤدية إلى الضعف والخلل في بناء الدولة الإسلامية.

لكن الناظر إلى هذه الاتهامات يجد أن الغرض من إثارتها: مهاجمة الخلافة الإسلامية باعتبارها الراعي للوحدة الإسلامية والمحافظ عليها، حيث هاجم "جب" الخلفاء، لأنهم – كما يزعم – طامعون مستبدون.

والحقيقة أن خلفاء المسلمين لم يكونوا فاسدين ولا طامعين، بل كانوا حريصين على سياسة أمور الدنيا بالدين، ولم يكونوا ظالمين ولا مغرورين، بل كانوا عادلين متواضعين، (فالخلفاء في

---

[1]() السلطان عبدالحميد الثاني: ولد في عام ١٨٤٢م، درس العلوم الأساسية في عهده وتعلم اللغة العربية، وكان شخصية قوية، تولى سلطنة الدولة العثمانية عام ١٨٧٦م، وكان حريصا على إيجاد صيغة قوية لتوحيد الأمة الإسلامية، وتوفي عام ١٩١٨م. انظر: مذكرات السلطان عبد الحميد: عبد الحميد الثاني، تقديم وترجمة: د/ محمد حرب، صـ: ٤٣، الطبعة الثالثة، دار القلم دمشق ١٤١٢هـ= ١٩٩١م.

[2]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٣١– ٣٢ باختصار.

الإسلام لا يمتازون على أضعف أفراد الرعية، وإنما هم منفذون لحكم الشرع ورأي الأمة، ويسعون إلى إقامة الحق والعدل، والمساواة بين الناس في القسط، ونشر الفضائل وقمع الرذائل، وإبطال ما أرهق البشر من استبداد الملوك والأمراء، وسيطرة الكهنة ورؤساء الدين على العقول والأرواح، فبلغوا بذلك حدا من الكمال، لم يعرف له نظير في تاريخ الأمم والأجيال، والخلافة حافظة للدين ومصالح الدنيا، وجامعة بين الفضائل الأدبية، والمنافع المادية، وممهدة لتعميم الأخوة الإنسانية، بتوحيد مقومات الأمم الصورية والمعنوية).[١] أما الخلافة العثمانية فقد زادت كراهيتهم لها بسبب (قيامها بالفتوحات الإسلامية في قلب القارة الأوروبية، وهو خطر عظيم لم يمر به الغرب من قبل في تاريخ علاقته بالمسلمين. لقد ظلت الخلافة في العثمانيين أكثر من خمسة قرون، وَصَلُوا فيها بفتوحاتهم إلى قلب أوروبا، وأصبحت الخلافة العثمانية تمثل من وجهة نظر الغرب الأوروبي خطرا دينيا وسياسيا على القارة الأوروبية).[٢] أما السلطان عبد الحميد الثاني فقد كثرت حوله الاتهامات لأنه (وقف في وجه الصليبيين وحال دون تحقيق آمال الصهيونيين في إقامة دولة إسرائيل، ولهذا نسبوا إليه الظلم والاستبداد، مع أنه معروف بتقواه وإخلاصه وتواضعه، ليسوّغوا المؤامرات الصليبية والماسونية[٣] التي عزلته وقضت على الخلافة الإسلامية بغرض ضرب الكيان الإسلامي وتمزيقه).[٤] فالخلافة الإسلامية ليست فكرة رجعية ولا وسيلة استبدادية ولا تبعث التنافر والعصبية؛ وإنما هي وسيلة لإقامة الشريعة الإلهية وتوحيد الأمة الإسلامية، لذا (ركز المستشرقون في دراساتهم وأعمالهم على الحيلولة بين المسلمين وبين الخلافة الإسلامية، فقد أخذ المستشرقون على عاتقهم نشر كل ما يسيء للخلفاء، بتوهين شخصياتهم وتشكيك الناس في حسن أخلاقهم وإدارتهم، فأخذوا يكيلون لهم كل تهمة باطلة).[٥]

---

[١]() الخلافة: الشيخ/ محمد رشيد بن علي رضا القلموني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، صـ: ٩ بتصرف، مكتبة الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، بدون تاريخ.

[٢]() آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: د/ محمد خليفة حسن، صـ: ٤٣.

[٣]() الماسونية لغة معناها البناؤون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة مثل [حرية . إخاء . مساواة . إنسانية] وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، (١/ ٥١٠)، الطبعة الرابعة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ.

[٤]() مذكرات السلطان عبد الحميد: عبد الحميد الثاني، تقديم وترجمة: د/ محمد حرب، صـ: ٣ بتصرف.

[٥]() آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد: د/ عمر إبراهيم رضوان، (١/ ٤٥)، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

أما فكرة الجامعة الإسلامية فلم تكن استجابةً لمطامع مادية، ولا سعياً وراء أفكار رجعية؛ وإنما جاءت دفاعا عن الوحدة الإسلامية التي كان المستشرقون يحرصون على هدمها، حيث (كانت حكومات بعض الدول الأوروبية تحرض رعايا الدولة العثمانية على التمرد والثورة، وتمدهم بالأسلحة والذخائر والأموال لإجراء مذابح بين الرعايا، ولنشر الرهبة والذعر بين المسلمين).[١] ومن هنا انطلقت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية[٢]، بقصد (توحيد العناصر المتعددة في الدولة من تُرك وعرب وأكراد وغيرهم تحت مظلة واحدة وهي الإسلام، وتقوية أواصر العلاقة بينهم لمواجهة الخطر الغربي المتربص بهم).[٣] فقد كان الهدف من الجامعة الإسلامية هو تكوين جبهة إسلامية قوية في مواجهة الأخطار المحيطة بالمسلمين.

والخلاصة: أن الخلفاء لم يكونوا فاسدين ولا طامعين؛ وإنما كانوا حريصين على وحدة الأمة الإسلامية وحمايتها من المخططات التدميرية، وأن فكرة الجامعة الإسلامية لم تكن عاملا منفرا وباعثا على التفريق بين المسلمين؛ وإنما كانت لمواجهة التحريضات الغربية التي تسعى إلى شق الصف الإسلامي.

المطلب الثاني: **الانقسام السياسي بين المسلمين**.

بيّن "هاملتون جب" أن الخلافات السياسية التي انتشرت في العالم الإسلامي قد أدت إلى نزاعات متتالية وصراعات عنيفة وانقسامات كبيرة حالت دون تحقيق الوحدة الإسلامية، فهو يرى أن (انقسام العالم الإسلامي إلى مناطق متمايزة اتسعت بينها الشقة السياسية على الدوام، أدى إلى قيام إمبراطورية فارسية، لم تكتف بقطع صلة الأتراك العثمانيين بالشرق والهند، لكنها باعتناقها مذهب الشيعة دينًا للدولة حالت دون التنظيم السياسي العام من جديد.. من أجل هذا فإن محاولة إيجاد خلافة عثمانية لتكون وسيلة لإيجاد وحدة سياسية أقوى تأثيرا لم يكن يرجى لها النجاح).[٤] فقد حرص الأستاذ "جب" على إبراز العالم الإسلامي في صورة متفرقة تشبه الامبراطوريات المتنازعة، وتحرص

---

[١]() الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: أ. د/ عبد العزيز محمد الشناوي، (١/ ١٦)، مطبعة جامعة القاهرة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٨٠م.

[٢]() الجامعة الإسلامية: تيار فكري سياسي نشأ على يد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦م، حرصا على توحيد العناصر المتعددة في الدولة من ترك وعرب وأكراد وغيرهم في جبهة واحدة لمواجهة التحديات التي تحيط بالأمة الإسلامية. انظر : مذكرات السلطان عبد الحميد: عبد الحميد الثاني، تقديم وترجمة: د/ محمد حرب، صـ: ٢٢.

[٣]() المصدر السابق، صـ: ٢٢.

[٤]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٢٨- ٢٩ باختصار.

كل منها على الانتصار والانتشار في مواجهة الأخرى، مما يؤدي إلى استحالة التلاقي بين هذه التيارات المختلفة.

والناظر إلى تعامل المستشرقين مع الخلافات السياسية في العالم الإسلامي يجد أنهم يسعون إلى (خَلْق العداء بين الشعوب الإسلامية، وبث روح العنصرية والطائفية والصراع بينهم، من خلال التركيز على إحياء المذهبية، بهدف ضرب الوحدة الفكرية في العالم الإسلامي).(١) والأصل أن وقوع الاختلاف السياسي بين الناس لا يعني النزاع والصراع، وإنما يعني التكامل والإبداع، (ومن الممكن أن تنحصر الخلافات السياسية في حدود صغيرة لا تتعداها في الزمان أو المكان أو الأشخاص, ولكن أعداء الإسلام نشطوا نشاطاً كبيراً في توسيع دائرة الخلافات السياسية, واتخذوا دائماً خطة الانقسام إلى فريقين أو أكثر, وانضمام كل فريق إلى جهة من جهات التنازع السياسي, وإمعانه في تمكين الخلاف, وتعميق جذور التنازع, بل عملوا على أن ينقلوه من دائرة الخلاف السياسي الذي يطويه الزمن, إلى خلاف اعتقادي وديني تتوارثه الأجيال, ويأخذ مع الزمن صبغة خلاف طائفي يستعصي دفعه, ويتعذر رفعه, وذلك إمعاناً منهم في متابعة مكرهم بالإسلام والمسلمين).(٢) وقد استطاع الأعداء أن يُحَوِّلُوا واقع المسلمين من الوحدة إلى الفرقة ومن الترابط إلى التنازع، وذلك من خلال (تعظيم دور الفرق الدينية في الحياة الإسلامية، والتهويل من شأن تأثيرها في المجتمع. والقصد من هذا كله: النيل من وحدة الإسلام كدين، ومن وحدة المجتمع الإسلامي، ووحدة الحضارة الإسلامية. فالصورة التي يقدمها المستشرق تؤكد على عدم وحدة العالم الإسلامي وانقسامه إلى فرق دينية واجتماعية متعددة، وتؤكد أيضا على وجود عقائد إسلامية، وبالتالي عدة مجتمعات إسلامية تتنوع فيها الحياة وتختلف أشكالها بما يؤدي إلى الاعتقاد الاستشراقي في عدم وجود أمة إسلامية واحدة كما يعتقد المسلمون).(٣) ويأتي حديث "هاملتون جب" عن الانقسام السياسي في الدولة العثمانية – كأحد موانع تحقيق الوحدة من وجهة نظرهم– في إطار سعي المستشرقين إلى إحياء كل الخلافات التي تؤدي إلى تفكيك الدولة العثمانية التي كانت ترعى الوحدة بين المسلمين، فقد (ذكر الكولونيل

---

(١) الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، أ. د/ محمد إبراهيم الفيومي، صـ: ١٠١ بتصرف.

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير– الاستِشراق– الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه: الأستاذ/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني (المتوفى : ١٤٢٥هـ)، صـ: ٣١١– ٣١٢ باختصار، الطبعة الثامنة، دار القلم دمشق١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

(٣) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: د/ محمد خليفة حسن، صـ: ٢١.

لورانس[١] في تقريره الذي رفعه إلى المخابرات البريطانية في كانون الثاني –يناير– [١٩١٦م] بأن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية, بدحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها, وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقوا في دوّامة الفوضى السياسية, داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك).[٢] وفي هذا تأكيد على حرص المستشرقين على إحياء الخلافات المذهبية والسياسية بين المسلمين، وتغذيتها بالصراعات الطائفية من أجل تمزيق الوحدة الإسلامية، وصرف المسلمين عن مواجهة الأخطار المحيطة بهم، (فقد أوجدت العصبية المذهبية حواجز كثيفة بين المسلمين، وأورثت فيما بينهم من العداوات ما شغلهم عن أعداء الإسلام وعن الأخطار المحدقة به، وقد كان أهمها في هذا الأمر الاستعمار والإلحاد والتشكيك بالإسلام).[٣] ولذلك حرصت القوى الماكرة بالإسلام على إشغال المسلمين بالخلافات الدينية والسياسية عبر الأزمان المتتالية.

والخلاصة أن الخلافات السياسية والمذهبية التي انتشرت في العالم الإسلامي رغم أنها لا تعني النزاع والصراع؛ إلا أن بعض المستشرقين قد استخدمها في توسيع دائرة العداء، بغرض قطع الطريق أمام كل سبيل يصل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية.

المطلب الثالث: **التقاليد السياسية للعالم الإسلامي**.

هاجم "هاملتون جب" النظام السياسي الإسلامي بغرض تشويهه وإظهاره في صورة النظام العاجز عن مسايرة الحياة وتطوراتها، الفاشل في تكوين وحدة تجمع أبناءه وتدافع عن مصالحهم، ويرى أن السبب في ذلك يتمثل في التقاليد السياسية الموروثة عبر القرون السابقة، زاعما أنها شكّلت عقبة أمام الأنشطة الفاعلة في تحقيق الوحدة الإسلامية، وفي هذا يقول: (إن التقاليد السياسية للعالم الإسلامي قد اعترضت طريق الوحدة بين المسلمين، ذلك أن ألف عام من الأوتوقراطية[٤] الحقود التي تعمدت اتباع سياسة القضاء على كل أثر للنشاط السياسي بين رعاياها بأعنف الوسائل، ألف عام من الاستسلام السياسي أُمِر المسلمون فيها باسم الدين أن يؤدوا الطاعة العمياء حتى لحاكم

---

[١]() لورانس [١٨٨٨– ١٩٣٥م] تلقى تعليمه في أكسفورد ١٩٠٧م ورحل إلى فرنسا، وبلغ رتبة مقدم في الجيش، وعمل في سلاح الطيران الملكي. انظر: المستشرقون: الأستاذ/ نجيب العقيقي، (٢/ ٥١١).

[٢]() أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: الأستاذ/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، صـ: ٣١٥– ٣١٦.

[٣]() المجتمع الإسلامي المعاصر: د/ محمد المبارك، صـ: ٨٩، دار الفكر بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

[٤]() الأوتوقراطيّة: حكومة الفرد التي لها سلطات غير محدّدة. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١/ ١٣٧).

فاسد الأخلاق، هذه الألف عام أودت بكل الوسائل التي تعين على تنظيم الجهود العامة للدفاع عن مصالح الجميع).[1] فهو يرى أن التربية السياسية الإسلامية تقوم على استبداد الخلفاء والطاعة الجماهيرية العمياء، مما أدى إلى غياب كل مظاهر النشاط السياسي في المجتمع الإسلامي، وعدم القدرة على الاجتماع في مواجهة الحكام الفاسدين أو الغزاة المحتلين.

والناظر لما كتبه الأستاذ/ جب يجد أنه قد أخطأ في إطلاق الحكم العام على النظام السياسي الإسلامي بأنه استبدادي، لأن نظام الحكم الإسلامي يقوم على الشورى[2] التي تعطي الحق للأمة في صنع القرار، فقد أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3] ففي الآية أمر صريح بالاعتماد على الشورى، ذلك (أن قاصد العمل يطلب ممن يظن فيه صواب الرأي والتدبير أن يشير عليه بما يراه في حصول الفائدة المرجوة من عمله).[4] فلا ينفرد الحاكم في النظام السياسي الإسلامي بصنع القرار. كما جعل الحق للأمة في معارضة الحاكم إذا خالف تعاليم الإسلام، فقد قال رسول الله ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة.»[5] ففي هذا الحديث (تقييد ما أطلق من الأحاديث التي تأمر بالسمع والطاعة ولو لحبشي، ومن الصبر على ما يقع من الأمير مما يكره، والوعيد على مفارقة الجماعة. أما قوله ﷺ "فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" أي لا يجب ذلك، بل يَحْرُمُ على من كان قادرا على

---

[1] () وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٢٩- ٣٠ باختصار.

[2] () الشورى هي: استخراجُ الرأي وطلب التدبير بمراجعة البعض إلى البعض. انظر: التعريفات الفقهية: الشيخ/ محمد عميم الإحسان البركتي، صـ: ٢٠٧.

[3] () سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٥٩ .

[4] () التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: الإمام/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، (٢٥/ ١١٢)، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ.

[5] () متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٦/٢٦١٢رقم ٦٧٢٥). انظر: صحيح البخاري= الجامع الصحيح المختصر: الإمام/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (٣/ ١٤٦٩ رقم ١٨٣٩)، واللفظ له، عن ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: الإمام/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

الامتناع).[١] فإذا أمر الحاكم بمعصية أو خالف ما استقرت عليه الشورى؛ وجبت نصيحته، لقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قيل: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.»[٢] فإن استجاب وإلا عُزِل إذا قُدر على ذلك.[٣]

فإذا كان الحاكم في النظام السياسي الإسلامي مأمور بمشاورة الرعية، ومنهي عن أمرهم بالمعصية، وهم مأمورون بنصيحته؛ فأين الاستبداد والطاعة العمياء التي يتحدث عنها الأستاذ/ جب؟!

ويضاف إلى هذا أن مظاهر النشاط السياسي في الإسلام قد استطاعت أن تجمع الأمة الإسلامية وتحقق لها العديد من الانتصارات، فقد أثبتت كتب السير والتاريخ عدول النبي ﷺ عن رأيه ونزوله على رأي الصحابي الجليل الحباب بن المنذر في غزوة بدر بعد أن استحسن الجميع رأيه[٤]، كما عدل النبي ﷺ عن رأيه ونزل على رأي الأغلبية في الخروج لملاقاة المشركين في غزوة أحد[٥]، كما

---

[١]() فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (١٣/ ١٢٣)، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

[٢]() أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤ رقم ٥٥)، عن تميم الداري رضي الله عنه.

[٣]() راجع: النظريات السياسية الإسلامية: د/ محمد ضياء الدين الريس، صـ: ٣٤٩- ٣٥٠، الطبعة السابعة، مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٦م. وانظر: الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة: د/ جمال أحمد السيد جاد المراكبي، صـ: ٤٥٤ وما بعدها، مطابع ابن تيمية بالقاهرة ١٤١٤هـ.

[٤]() ثبت (أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه). انظر: السيرة النبوية: الإمام/ عبد الملك بن هشام المعافري (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (١/ ٦٢٠)، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.

[٥]() (وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أُحد كان رأيه أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا: نخرج يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد، ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله أقم فالرأي رأيك. فقال لهم ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه). انظر: البداية والنهاية: الإمام/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، (٤/ ١٣)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

اعترض الصحابيان الجليلان في غزوة الأحزاب أن يمنح الرسول ﷺ لبعض المشركين ثلث ثمار المدينة وقالا: والله لا نعطيهم إلا السيف[1]، واستجاب لهما النبيﷺ، كما أخذ النبي ﷺ في نفس الغزوة برأي الصحابي الجليل سلمان الفارسي في حفر الخندق[2]، فهذه شواهد تبين أن النظام السياسي الإسلامي لم يكن يوما قائما على الاستبداد والطاعة العمياء حتى وإن كان القائد هو الرسول ﷺ. كما تؤكد أن هذه الأنشطة السياسية قد أسهمت في توحيد كلمة المسلمين وتحقيق الخير لهم.

والخلاصة أن دعوى الأستاذ/ جب بأن التقاليد السياسية الإسلامية قد حالت دون تحقيق الوحدة الإسلامية دعوى باطلة، لأنها قائمة على معلومات خاطئة وفهم مغلوط، إذ إن سلطة الحاكم في النظام السياسي الإسلامي ليست مطلقة، بل مقيدة بطاعة الله ورسوله ومشاورة الأمة، فإذا أطاع الحاكم ربه وشاور أمته وجبت طاعته وإلا نصيحته، فإن استجاب وإلا وجب عزله، كما أن مظاهر النشاط السياسي في الإسلام قد استطاعت أن تجمع الأمة الإسلامية وتحقق لها العديد من الانتصارات.

---

[1]() فقد (أقام رسول الله ﷺ مرابطا وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين [سعد بن معاذ وسعد بن عبادة] فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ فقال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ: أنت وذاك). المصدر السابق، (٤/ ١٢٠).

[2]() (عندما فصلت قريش من مكة إلى المدينة ندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في أمرهم، وكان رسول الله يكثر مشاورتهم في الحرب، فقال: أنبرز لهم من المدينة، أم نكون فيها ونخندقها علينا، أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل؟ فاختلفوا، فقالت طائفة: نكون مما يلي بعاث إلى ثنية الوداع إلى الجرف. فقال قائل: ندع المدينة خُلوفا! فقال سلمان: يا رسول الله، إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين، وعمل النبي يومئذ في الخندق ومعه الناس). انظر: المغازي: الإمام/ محمد بن عمر الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، (٢/ ٤٤٥)، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي – بيروت ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

المبحث الثالث:

رؤية المستشرق هاملتون جب للمعوقات الثقافية للوحدة الإسلامية.

تحدّث المستشرق "هاملتون جب" في كتاب "وجهة الإسلام" عن الدور البارز للمعوقات الثقافية في التأثير على الوحدة بين البلاد الإسلامية، حيث زعم أن أفكار العصور الوسطى في أوروبا[١] قد سيطرت على المسلمين، كما اتهم البلاد الإسلامية بالعجز عن إصلاح التعليم، وادعى أن التفاوت الثقافي بين المسلمين قد أدى إلى النزاع والصراع، ومن ثم تعويق مسيرة الوحدة الإسلامية، ويتبين ذلك من خلال النقاط الآتية:

المطلب الأول: تأثر البلاد الإسلامية بأفكار العصور الوسطى.

ادعى "جب" أن المجتمع الإسلامي يرفض الإصلاح في أي جانب من جوانب الحياة، وأن انتشار الأفكار الغربية فيه تؤدي إلى إحداث حالة من القلق والفزع والصراع بين أبنائه، وقد عبّر عن هذا بقوله: (وإذا عرفنا سر تكوين المجتمع الإسلامي الذي يشبه تكوين مجتمعات العصور الوسطى، فلا حاجة إلى برهان طويل على أن اقتحام أفكار أو نزعات جديدة على المسلمين في أي ناحية من نواحي الحياة؛ ينجم عنه سلسلة كاملة من الحركات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية التي تؤثر في مظهره الفكري والمادي تأثيرا عميقا، وإن ظهور هذه الحركات والعنف الذي قاومت به التقاليد والعادات القديمة أحدثا في العالم الإسلامي كله حالة قلق وحرج).[٢] فهو يرى أن البلاد الإسلامية قد تأثرت بأفكار العصور الوسطى، فإذا جاءت فكرة غربية لا تتفق مع هذه الأفكار فإن المسلمين ينقسمون تجاهها إلى قسمين مؤيد ومعارض، ومن هنا ينشأ النزاع والقلق في المجتمع بين الفريقين مما يؤدي إلى تعويق مسيرة الوحدة الإسلامية.

والناظر إلى هذه الرؤية يجد أنها تهاجم النظم الإسلامية، وتبين – حسب رأيه– أن (الرأي الإسلامي كما يقوده رجال الدين يعادي أي تدابير يتخذها المصلحون أمَرّ العداء، فإن أريد إلغاء الرق قيل إن الشريعة الإسلامية تقره، وإن أريد إقامة المساواة في المكانة بين جميع الرعايا قيل إن

---

[١]() العصور الوسطى: تطلق على الفترة ما بين سنة ٨٠٠ – ١٥٢١م التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، والتي دامت طويلاً بين البابوية والإمبراطورية، واتسمت بظهور حركات الخروج على مبادئ الكنيسة فيما وسَمَتها الكنيسة بالهرطقة، ولذلك توسعت في استخدام محاكم التفتيش ضد هذه الحركات، وضد الأصوات المنادية بالإصلاح الكنسي. انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/ ٦٠٢).

[٢]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ١٦ بتصرف.

الشريعة تصر على تبعية غير المسلمين، وإن أريد إصلاح إدارة القضاء قيل إن الشريعة لا تسمح بأي قانون سواها، وإن أريد إنشاء أنظمة نيابية قيل إن الشريعة لا تعرف شيئا من هذا ولا تسمح بحق التشريع).[١] وفي هذا تكريس لفكرة التخلي عن الدين حتى تتم الوحدة ويحدث التقدم.

والقارئ لما كتبه "جب" يجد أنه قد افترض وجود تشابه كامل بين المجتمع الإسلامي والمجتمع النصراني في العصور الوسطى، ثم بنى على هذا الافتراض المساواة في النتيجة، وهي رفض كلا المجتمعَيْن للدين وحدوث صراع بين الدين القديم والأفكار الجديدة.

والحقيقة أن الفرق شاسع بين المجتمعين؛ لأن التسلط الكنسي في العصور الوسطى قام على أساس (السلطة الدينية التي كانت للبابا[٢] عند الأمم المسيحية، عندما كان يعزل الملوك ويحرم الأمراء ويقرر الضرائب على الممالك ويضع لها القوانين الإلهية).[٣] ومن دلائل الطغيان الكنسي أن (أكثر أصحاب الوظائف العلمية في أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى نوع من أنواع المنظمات الدينية، وكانوا جزءًا من الكنيسة، حيث إن الكنيسة كانت تتدخل في كل لون من ألوان النشاط البشري وتوجهه وبخاصة النشاط العقلي... إذن فقد كان الرجال الذين يتلقون تعليمهم في الكنيسة يكادون يحتكرون الحياة العقلية، فكانت الكنيسة منصة المحاضرة والصحافة والنشر والمكتبة والمدرسة والكلية).[٤] ومن هنا ثار الناس ضد هذا الطغيان، وسارعوا إلى إنشاء حركات اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية تعلن رفضها لكل مظاهر التسلط الكنسي، وأعلنوا أن (التقدم الاجتماعي يمكن أن يتم بواسطة وسائل تشريعية أو قضائية أو إدارية تنظم قصدا من أجل ذلك، وعن طريق إعادة بناء النظم البشرية، لا عن طريق الاهتداء الروحي أو الدعوة الخلقية).[٥] فقد رأى الناس أن الكنيسة تقف

---

[١]() المصدر السابق، صـ: ٣٣- ٣٤ باختصار.

[٢]() البابا: هو أسقف روما ورأس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وله سلطة إدارية وتعليمية على الكنيسة، وهو ينتخب في اجتماع سري يعقده مجمع الكرادلة كلما شغر الكرسي الرسولي. انظر: القاموس القانوني الثلاثي– قاموس قانوني موسوعي شامل: موريس نخلة – روحي البعلبكي – صلاح مطر، صـ: ٣٤٦، الطبعة الأولى، منورات الحلبي الحقوقية بيروت ٢٠٠٢م.

[٣]() الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: تحقيق وتقديم: د/ محمد عمارة، (٣/ ٢٤٩- ٢٥٠)، الطبعة الأولى، دار الشروق بيروت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

[٤]() أفكار ورجال – قصة الفكر الغربي: كرين برنتن، ترجمة محمود محمود، صـ: ٢٣١ باختصار، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥م.

[٥]() أزمة الإنسان الحديث: تشارلز فرنكل، ترجمة: نقولا زيادة، صـ: ٥٥ باختصار، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٥٩م.

عائقا أمام النهوض الحضاري، وأن السبيل إليه هو الخلاص من سلطانها القديم والاعتماد على الأفكار الجديدة التي تستبعد الدين من التوجيه.

لكن الناظر إلى المجتمع الإسلامي يجد أن التسوية بينه وبين المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى باطلة؛ لأن تكوين المجتمع الإسلامي لم يشبه تكوين تلك المجتمعات، ولم يكن في حاجة إلى اقتحام أفكار وافدة تأخذ بيده إلى الإصلاح، لاسيما الأفكار الغربية، لأنه يشتمل على كل مقومات الإصلاح، ولم يقف الدين فيه حجر عثرة أمام النهوض الحضاري، بل دعت النصوص الشرعية إلى اقتباس النافع من الأفكار من أجل العمارة وإقامة الحضارة ما لم يترتب على ذلك ضرر ديني أو دنيوي.

والخلاصة أن التسوية التي ادعاها "هاملتون جب" بين المُجْتمَعَيْن الإسلامي والأوروبي إنما هي حلقة من سلسلة الغزو الفكري، التي يهدف من خلالها إلى نقل التجربة العلمانية[١] إلى البلاد الإسلامية بغرض الطعن في الدين الإسلامي والحرص على التفريق بين المسلمين وكسر وحدتهم من خلال إيجاد صراع بين الدين والحياة في المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: **عجز المسلمين عن إصلاح التعليم**.

هاجم "جب" فكرة النظام الإسلامي من خلال وصفه بالنزعة القديمة التي سيطر بها المسلمون على الناس، مما أدى إلى التخلف في شتى مناحي الحياة، ورأى أن الخلاص من هذا النظام القديم يتمثل في رفض التعليم الإسلامي، حيث دعا إلى (إدخال طرائق جديدة في الفكر من خلال نظام جديد في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية والفنية، وإصلاح التعليم على هذا النحو لا تستطيع السلطات الإسلامية تنفيذه أمام مقاومة رجال الدين وبسبب قلة وجود الأساتذة، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى، فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الإسلامية، وذلك يرجع غالبا إلى جهود جمعيات تبشيرية مختلفة، ومهما قيل عن ما بين هذه المدارس من منافسات ورغم ما تُرمَى به من نزعة حزبية ضيقة وصبغة طائفية، ورداءة تربيتها في كثير من الأحيان؛ فإنها أثرت تأثيرا عظيما في العالم الإسلامي، فقد صاغت هذه المدارس أخلاق التلاميذ وكوّنت ذوقهم، وعلّمتهم اللغات

---

[١]() العلمانية: هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/ ٦٧٩).

الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي فعلت فيهم فعلها أيام الطفولة. كما أنها ربّت في التلاميذ خروجا على الأنظمة الاجتماعية والسياسية في أوطانهم الأصلية، وبإضعافها من هذه الوجوه لسلطان النزعة الإسلامية القديمة على التلاميذ أدخلت في بناء المجتمع الإسلامي أداة هادمة وقطعت بعض الأواصر التي كانت تحفظ تماسكه).[١] والناظر فيما سبق يجد أن "هاملتون جب" حاول أن يصل إلى الأغراض الآتية:

أولا: وصف النظام الإسلامي بأنه قديم وعقيم ولا يصلح لقيادة الحياة المعاصرة.

ثانيا: إخفاق المدنية الإسلامية في إصلاح التعليم بسبب مقاومة رجال الدين وقلة الأساتذة.

ثالثا: التعليم العلماني لم يكن غزواً فكريا وإنما جاء لإنقاذ المسلمين من التخلف.

رابعا: التهوين من شأن الوحدة الإسلامية والقيم الأخلاقية وتعظيم الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي والتأثر به وتقليده في واقع الحياة الإسلامية، مما ينتج عنه اتساع دائرة الخلاف بين المسلمين.

وكلها أغراض خبيثة، قامت على معلومات خاطئة وتوجهات فاسدة، ويتبين ذلك فيما يأتي:

أولا: النظام الإسلامي لا يهدف إلى السيطرة على الناس، وإنما يقصد إصلاح أحوالهم وتحقيق نهوضهم في كل زمان ومكان، فالإسلام ليس عقيما، ولكنه صالح لقيادة الحياة متى تمسك الناس به وأحسنوا فهمه والعمل به، (فالرؤية التي يقدمها الإسلام –نظريا وتطبيقيا– في التعامل مع الحضارات الإنسانية تضع الإسلام نظاما وفكرا له القدرة على قيادة الحياة في هذه الأرض، وتعطي الإنسان الأمل في أن يعيش بسعادة وكرامة).[٢] وقد أثبت الواقع عبر التاريخ قدرة الإسلام على النهوض بأتباعه في كل مجالات الحياة.

ثانيا: كثيرا ما يساوي "هاملتون جب" بين علماء الدين الإسلامي ورجال الدين الكنسي ليتوصل إلى عدم وجود فرق بينهما، لكن الحقائق التاريخية قد أثبتت معارضة رجال الدين الكنسي للإصلاح مما أدى إلى تخلف أوروبا في العصور الوسطى، ولم يثبت التاريخ أن علماء الإسلام قد عجزوا عن

---

[١]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٣٧– ٣٨ باختصار.

[٢]() الإسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش: د/ عبدالهادي الفضلي، صـ: ١١٣، الطبعة الأولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت ٢٠١٤م.

إصلاح التعليم، بل ثبت أنهم دعوا إلى الإصلاح وقدموا مشروعات عملية لتحقيق الإصلاح التعليمي، كما فعل الشيخ محمد عبده[1] والشيخ محمد مصطفى المراغي[2] رحمهما الله تعالى.

ثالثا: التعليم العلماني لم يكن إنقاذا للمسلمين من التخلف؛ وإنما هو خطة تنصيرية واستعمارية تهدف إلى السيطرة على عقول المسلمين ونهب خيراتهم وتشكك في دينهم، فهم يرون أن (التعليم أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجئوا إليها في سعيهم لتنصير المسلمين).[3]

رابعا: حرص "جب" على التهوين من شأن الوحدة الإسلامية والقيم الأخلاقية من خلال الدعوة إلى غض الطرف عن ما توصَف به المدارس العلمانية من سوء الأخلاق والتربية والنزوع إلى الحزبية والطائفية، وهو مسلك خبيث يرمي إلى إمكانية التخلي عن القيم الأخلاقية والتمسك بالعصبية والطائفية، ويدعو إلى محاربة النظم الإسلامية وتقليد النظم الغربية.

وهكذا يتبين أن "هاملتون جب" يرى أن التعليم الإسلامي من أسباب التخلف والتراجع الحضاري للمسلمين، وأن السبيل إلى النهوض لا يكون إلا من خلال التمسك بالنظام العلماني مع التغاضي عن سلبياته التي تؤدي إلى تفرق المسلمين إلى أحزاب وطوائف، وفي هذا تأكيد على أن تقليد الغرب من معوقات الوحدة الإسلامية.

---

[1] انظر: الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: أ. د/ محمد عمارة، صـ: ٤٧ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار الشروق بالقاهرة ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

أما الإمام محمد عبده، فقد ولد في محافظة البحيرة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩هـ، ودرس في الأزهر الشريف، وهو فقيه ومفكر وفيلسوف، ورائد دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي، وتوفي ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م. انظر: المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده، د/ محمد عمارة، صـ: ١٢وما بعدها، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٥م.

[2] انظر: الإصلاح الديني في القرن العشرين ـ الإمام المراغي نموذجا: أ. د/ محمد عمارة، صـ: ٢٥ وما بعدها، العدد: ١٤٨، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، شوال ١٤٢٨هـ = نوفمبر ٢٠٠٧م.

أما الإمام محمد مصطفي المراغي، فهو شيخ الجامع الأزهر، وقاضي السودان الأكبر سابقا، ولد في قرية "المراغة" من مديرية جرجا ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م. وتوفي في رمضان ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م. انظر: الشيخ المراغي بأقلام الكتاب: أبو الوفا المراغي، صـ: ٥ وما بعدها، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.

[3] التبشير والاستعمار في البلاد العربية – عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي: د/ مصطفى خالدي – د/ عمر فروخ، صـ: ٤٦، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت١٩٧٣م.

المطلب الثالث: تفاوت الثقافة في البلاد الإسلامية.

زعم المستشرق "هاملتون جب" أن التفاوت الثقافي بين المسلمين يؤدي إلى النزاع والصراع، كما يؤدي إلى تقسيم البلاد الإسلامية إلى فرق وجماعات وأحزاب وأقاليم متباينة في تفكيرها وسلوكها، مستندا إلى صورته الذهنية القائمة على الصراع بين الأفكار والحضارات، حيث يدافع كل صاحب فكرة عن فكرته، ويحتكر الصواب في ثقافته، ولا يدع مجالاً للتفكير فيما عند الآخر فضلا عن قبوله. وقد حمل الأستاذ "جب" هذه الفكرة في رأسه ثم أسقطها على المجتمع الإسلامي، وراح يلتقط المواقف التي رفضتها الثقافة الإسلامية ليستدل بها على صحة دعواه، ومن هذه المواقف أن (أحد أساتذة الدِّين كان في أواخر القرن التاسع عشر يشرح القرآن لطائفة من شبان المسلمين المثقفين ثقافة إنجليزية، ففسر إحدى الآيات التي تصف كيف سيقذف بالفاسقين في النار، فقال: الفاسقون هم الذين لا يؤمنون بالله، هم الكذابون والزناة واللصوص والقتلة والذين لا يحفون شواربهم.. وحوالي ذلك الوقت نفسه كان واعظ مسلم متنقل يعظ الناس في مدينة "دلهي" –الهندية– فاعترض على بعض ما قاله طالب هندي شاب بعد أن أصغى إليه فقاطعه الواعظ قائلا: لا يحق لك أن تتكلم في هذه المسائل لأنك لست مسلما، فأجابه الشاب في شيء من الحماسة: إني مسلم مثل ما أنت مسلم. فقال الواعظ: لا، إنك لست مسلما، فانظر إلى سراويلك، وكانت منسدلة إلى ما تحت الكعبين على خلاف عادة المسلمين المتطهرين... وقد كان اشتداد هذا التنازع في المجتمع الإسلامي وزيادة حدته من أهم ما يميز حياة الشعوب الإسلامية أثناء الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، وكان من أول النتائج التي نجمت عنه أنه زعزع تلك الفكرة القديمة، فكرة أن العالم الإسلامي توحده ثقافة واحدة وتسيطر عليه تقاليد واحدة، ومن هنا نؤكد أن تفاوت الثقافة في البلاد الإسلامية والكفاح بين المصلحين وأنصار التقاليد علامة على انحلال يتهدد الوحدة الإسلامية).[1] فقد بيّن "جب" أن التنازع بين المسلمين يعد سمة بارزة في حياتهم، وأن هذا التنازع ناتج عن التفاوت الثقافي بينهم، وأن هذا التفاوت يرجع إلى اقتناع بعض المسلمين بالأفكار الغربية وحرصهم على نشرها والعمل بها في مواجهة ما استقرت عليه الأمة من ثقافتها الإسلامية، وكلما انتشرت الأفكار الغربية في المجتمع الإسلامي كلما زاد الاختلاف والنزاع والصراع، ثم بدأ الأستاذ "جب" في تشجيع هذا الصراع من خلال اتهام الثقافة الإسلامية بالقِدَم والرجعية، وحثّ المعتنقين للأفكار الغربية على التقدم لإزالة آثار الثقافة الإسلامية من أفكار الناس وحياتهم الاجتماعية، فقال: (إن امتزاج الأفكار المأخوذة من الغرب بدأ ينزع إلى تمييز كل مملكة عن الممالك الأخرى، فقد صار للأفكار الغربية في بعض البلاد سلطان يُمَكِّنُها من تعديل الأنظمة

---

[1] () وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٣٨– ٤٠ باختصار.

القديمة).[١] فقد أدى اقتحام الفكر الغربي للبلاد الإسلامية إلى اختلال الوحدة الثقافية بين المسلمين، ومن ثم حدوث انشقاق بين البلاد المتأثرة بالنزعة الغربية وغيرها من البلاد المحافظة على التقاليد الإسلامية.

والناظر إلى ما كتبه الأستاذ/ "جب" في هذه النقطة يجد أنه قد تحدث عن نوعين من التفاوت الثقافي، الأول: التفاوت بين المسلمين في فهم الثقافة الإسلامية، والثاني: التفاوت بين المسلمين في قبول الثقافة الغربية. وكلاهما في نظره يؤدي إلى تعويق الوحدة الإسلامية.

أما التفاوت الثقافي في فهم الثقافة الإسلامية بين المسلمين فقد بالغ الأستاذ/ جب في تصويره وحرص على تضخيمه من أجل إظهار الصورة الإسلامية في حالة من العجز عن الاجتماع تحت ثقافة واحدة، ولهذا ساق أمثلة تؤكد على شيوع التكفير بين المسلمين مما يؤدي إلى الانقسام والصراع بينهم، لكن هذه الأمثلة المذكورة – إذا صدقنا وقوعها – لا تعبر عن الفكر الإسلامي السليم، وإنما هي حالات شاذة لا يمكن تعميمها وتصديرها على أنها معبرة عن الدين الإسلامي، فليس في الإسلام ما يقرر أن الذين لا يحفون شواربهم من الفاسقين، وأن الملابس المنسدلة إلى ما تحت الكعبين تخرج صاحبها من الإسلام، لكن الغرض من نشر هذه الآراء هو تشويه المنهج الإسلامي وتصوير الأمة الإسلامية في حالة من التفرق والتشرذم.

وإذا كان الأستاذ/ جب" قد بالغ في تصوير هذا التفاوت وتوظيفه لتحقيق غرضه؛ إلا أن تفاوت الثقافة في البلاد الإسلامية حقيقة لا يمكن إنكارها، لكنها لا تؤدي إلى تفتيت الوحدة الإسلامية، لأن (استناد الثقافة الإسلامية على الوحي في كل قضاياها وتصوراتها يجعلها مصونة عن الوقوع تحت تأثير الأهواء والآراء الفاسدة والمذهبيات المنحرفة التي ينشأ عنها الاختلاف المتضاد، وتتولد عنها العداوات، فالعاصم لها من ذلك يعود إلى رد مسائل التنازع والاختلاف في كل القضايا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لاستجلاء الحق وبيانه، وإلى تسويغ الاختلاف لأسباب علمية وظنية، فإن الأمة مطالبة بالاجتماع على أصول الدين وأركانه ومفاهيمه العامة ومقاصده، ولا يضرها بعد ذلك أن تختلف في الفروع والجزئيات، فإن الخلاف فيها سائغ وواسع.. بل هو رحمة بالأمة وتوسعة عليها).[٢] فالاختلاف في هذا الإطار يؤدي إلى التعاون المثمر ولا يضر بالوحدة الإسلامية.

---

[١]() المصدر السابق، صـ: ٣٨– ٤٠ باختصار. وانظر أيضا: صـ: ٢٢٧.

[٢]() الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي: د/ أحمد بن عبد العزيز الحليبي، صـ: ٣٢ باختصار، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد: [١٩] العلوم التربوية والدراسات الإسلامية ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

أما التفاوت بين المسلمين في قبول الثقافة الغربية فقد تحامل فيه الأستاذ/ "جب" على الثقافة الإسلامية، ووصفها بالتقاليد القديمة ودعا إلى رفضها، زاعما أنها عاجزة عن تحقيق التعايش والوحدة. والحقيقة أن الثقافة الإسلامية لا تمنع التعايش مع الثقافات المغايرة، لأن (التعددية لا تعتبر خطيرة ولا ضارة في ظل قيم تربوية متوازنة، يحترم كل فرد فيها خصوصيات الآخر، وكلما نمت قيم الفضيلة في المجتمع واتسعت آفاق الرؤية الإنسانية؛ كانت أسباب التعايش والتساكن أرسخ وأقوى... والمجتمعات الإسلامية أقدر من غيرها على تحقيق هذه المعادلة بين الطوائف والمذاهب، وهذا ما يؤيده تاريخنا الإسلامي الذي احتضن أروع صور هذا التعايش في ظل قوميات متباعدة ولغات متباينة وشعوب متنافسة).[1]

أما الثقافة الغربية التي أسرف الأستاذ/ "جب" في الثناء عليها، وأطلق على أصحابها وصف: المصلحين، ودعا إلى اعتناقها وفرضها على الناس أجمعين، فهي التي أدت إلى حدوث النزاع والصراع، لأنها سعت إلى الهيمنة على كل الثقافات، وحرصت على فرض قيمها على كل الأطراف، دون مراعاة الخصوصيات الثقافية للآخرين، مما أدى إلى التنازع والاختلاف. فالثقافة الغربية مسئولة عن غرس بذور الشقاق بين الناس وتفتيت وحدتهم، من خلال حرصها على إحياء النزعات القديمة وتضخيم الخلافات المذهبية والسياسية بين المسلمين.

فإن قيل: إن الواقع يشهد بتفرق المسلمين في العصر الحاضر؛ فالجواب: أن السبب ليس في الثقافة الإسلامية، فقد استطاعت هذه الثقافة أن تجمع في فترة زمنية قصيرة كثيرا من البلاد تحت راية الإسلام[2] وذلك حين تمسك به المسلمون، أما (التفرق الذي يعاني منه المسلمون اليوم فهو عقوبة على المسلمين لتخليهم عن الإسلام لا لتمسكهم به).[3] فليست الثقافة الإسلامية سببًا في التفرق، (ولكن هذا التفرق يعد مرحلة في تاريخ المسلمين، شأنهم في ذلك شأن بقية الشعوب والأمم الأخرى، ولا يعني ذلك أنهم سيظلون كذلك إلى الأبد، وكما استطاعت الشعوب الأوروبية أن تتغلب على عوامل الفرقة والتنازع فيما بينها والتي أدت إلى حربين عالميتين؛ فإن الشعوب الإسلامية تستطيع

---

[1]() ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية أسبابها ووسائل علاجها: د/ محمد فاروق النبهان، صـ: ٨٣٨ باختصار، العدد/ ١٣، مجلة دار الحديث الحسينية ١٤١٧هـ.

[2]() انظر: الإسلام وحاجة الإنسانية إليه: د/ محمد يوسف موسى، صـ: ٢٢٦، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.

[3]() حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ١٤١ بتصرف، الطبعة الرابعة، العدد: ١٠٨، سلسلة قضايا إسلامية، إصدار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م. وانظر: الغزو الفكري أهدافه ووسائله: د/ عبدالصبور مرزوق، صـ: ٢٤– ٢٥، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٤هـ.

في مستقبل الأيام أن تتغلب أيضا على عوامل الفُرْقَة فيما بينها، والبحث عن صيغة ملائمة للتعاون المثمر من أجل مصلحة المجتمعات الإسلامية كلها).[١]

والخلاصة أن التفاوت الثقافي بين المسلمين لم يكن سببا في تعويق مسيرة الوحدة الإسلامية، وأن اقتحام الثقافة الغربية للمجتمع الإسلامي هو السبب في التفريق بين المسلمين، لأنها تسعى إلى الهيمنة على كل الثقافات بغرض إخضاع العالم كله لسلطانها وتوظيفه في خدمة أفكارها وتحقيق أهدافها.

أما الاختلاف الثقافي بين المسلمين فهو وسيلة إلى التكامل والإبداع وليس سببا للنزاع والصراع.

[١]() حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ١٤١.

المبحث الرابع:

منهج المستشرق هاملتون جب في رؤيته لمعوقات الوحدة الإسلامية.

اعتمد المستشرق هاملتون جب في رؤيته لمعوقات الوحدة الإسلامية من خلال كتاب وجهة الإسلام على عدد من المناهج الاستشراقية، ويتبين ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: منهج الإسقاط.

الإسقاط في علم النفس: (حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ومناقصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع، وذلك تنزيها لنفسه وتخففا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب. فترى الكاذب أو الجحود أو الأناني أو المتعصب ينسب هذه الصفات إلى غيره).[١] والإسقاط في مناهج المستشرقين: (العملية النفسية التي يخلع بها المستشرقون تصوراتهم ورغائبهم وعواطفهم على الآخرين، أو على موضوع من الموضوعات).[٢]

والقارئ لما كتبه هاملتون جب حول معوقات الوحدة الإسلامية يجد أنه قد استخدم منهج الإسقاط حين نسب عيوب ونقائص المجتمع الغربي في العصور الوسطى إلى المسلمين، زاعما أن (المجتمع الإسلامي يشبه تكوين مجتمعات العصور الوسطى).[٣] فقد حرص "جب" على إسقاط المشكلات الناتجة عن التسلط الكنسي في أوروبا على المسلمين سعيا إلى التسوية بينهما في سبب المشكلة وهو التمسك بالدين.

والحقيقة أن (العصور الوسطى هي عصور ظلام وحرق للعلماء ومحاربة للمعرفة، لكن هذا ينطبق على أوروبا، أما في بلادنا فلم تشهد حضارتنا صراعا بين العلم والدين، لأن الإسلام يحضُّ على العلم بشتى ميادينه وفروعه، فشتان بين إسقاطهم وبين الحقيقة التي تصفعهم، وما أبعد الفارق بيننا وبينهم. بل لقد كانت بلادنا مصدر إشعاع فكري وعلمي وحضاري إلى أوروبا).[٤]

---

[١]() أصول علم النفس: د/ أحمد عزت راجح، صـ: ٤٧٨، الطبعة السابعة، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨م.

[٢]() الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د/ شوقي أبو خليل، صـ: ١٥ بتصرف، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٩٩٥م.

[٣]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ١٦.

[٤]() الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د/ شوقي أبو خليل، صـ: ٢٢٠- ٢٢٢ باختصار.

كما استخدم المستشرق هاملتون جب منهج الإسقاط في حديثه عن مسلك المسلمين تجاه رعاياهم من المسيحيين، حيث ادعى أن الإسلام قد ظلم الأقليات غير المسلمة ومنعهم من حقوقهم[١] كما زعم أن المبادئ الإسلامية تشكل عقبة في سبيل التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم.[٢]

والحقيقة أن الإسلام قد كفل لغير المسلمين حرية العقيدة وأمر أتباعه أن يعاملوا المسالمين من أهل الكتاب بالبر والقسط. (أما معاملة الأقليات بالتعصب والقمع والعنف والوحشية فأمر تعرفه دول أوروبا حق المعرفة، فالأقليات المسلمة التي أُجْبِرت في كثير من دول آسيا وأفريقيا على ترك دينها أو تُضْطَهَد حتى الموت تُسْأَل عنها بعثات التبشير النصرانية في الشرق الأقصى وفي أفريقيا. كما تعلم أوروبا علم اليقين ما فعلته الكنيسة من سحق الأقليات مع إذاقة كثير من رجال العلم المبرزين من النصارى أنفسهم أشد أنواع المظالم والعسف من إخوانهم في الدين بسبب أن أولئك ينتمون إلى طائفة غير طائفتهم).[٣] ففي هذا تأكيد على أن اضطهاد الأقليات لم يكن من مبادئ الإسلام ولا من تصرفات المسلمين، وإنما كان من الكنيسة التي أذاقت مخالفيها سوء العذاب.

والخلاصة أن الأستاذ/ "جب" قد استخدم منهج الإسقاط حين نسب إلى الإسلام والمسلمين عيوبا ونقائص هي في الأصل عنده، لكنه حولها إلى غيره، من خلال نسبة المسلمين إلى العصور الوسطى المظلمة واتهامهم باضطهاد الأقليات غير الإسلامية، وهذا يدل على شدة حقده على المسلمين ودينهم.

المطلب الثاني: منهج الافتراض والحشد.

ويقصد به (وضع الفكرة مقدما، ثم البحث عن أدلة تؤيدها، مهما كانت ضعيفة أو واهية، ولو اضطرهم الأمر إلى استعمال أسلوب المغالطات والأكاذيب واقتطاع النصوص).[٤] ومما يدل على هذا ما قام به المستشرق هاملتون جب من افتراض قيام النظام السياسي الإسلامي على الاستبداد القائم على الطاعة العمياء[٥] ثم راح يبحث عن أدلة تؤيد دعواه، فأخذ جزءًا من الأحاديث وترك بقيتها، حيث اكتفى بالجزء الذي يأمر بالسمع والطاعة، وترك القيد الذي يؤكد أن السمع والطاعة يكونان في المعروف، فإن كان الأمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة.[٦] وفي هذا تأكيد على أن

---

[١]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ١٨ باختصار.
[٢]() المصدر السابق، صـ: ٢٣٩ باختصار.
[٣]() الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د/ شوقي أبو خليل، صـ: ٢١٣ – ٢١٤.
[٤]() أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: الأستاذ/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، صـ: ١٤٩.
[٥]() انظر: وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٢٩– ٣٠.
[٦]() فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام/ ابن حجر العسقلاني، (١٢٣/١٣).

المنهج الإسلامي في النظام السياسي يقوم على السمع والطاعة في المعروف، لكنَّ المستشرقين يفترضون أن التقاليد السياسية الإسلامية قائمة على الاستبداد ثم يبحثون عن الأدلة التي تؤيد مزاعمهم، فيخرجونها عن سياقها، ويقطعونها عن نصها الكامل.

ومن الأمثلة على هذا أيضا ما افترضه الأستاذ/ جب من وجود التشابه بين المجتمع الإسلامي ومجتمع العصور الوسطى في أوروبا، ثم استدل على دعواه باستعمال أسلوب المغالطات والأكاذيب، حيث اتهم الخلفاء بالطمع والفساد والمبادئ الإسلامية بالرجعية والاستبداد.[١] كما ربط بين تفرق المسلمين وتخلفهم الحضاري في العصر الحاضر وبين تقاليد العصور الوسطى.[٢]

والحقيقة أن النصوص الشرعية والحقائق التاريخية والأحداث الواقعية تخالف دعواه.[٣]

---

[١]() وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٣١- ٣٢ باختصار.

[٢]() المصدر السابق، صـ: ٣٨- ٤٠ باختصار.

[٣]() راجع: المطلب الأول من المبحث الثاني، والمبحث الثالث من هذا البحث.

المطلب الثالث: **منهج الانتقاء**.

يقوم منهج الانتقاء عند المستشرقين على (تجميع الهفوات التي لا تخلو منها أمة مهما عظمت كمالاتها، ووضعها في صورة واحدة، وتقديمها على أنها هي كل صورة تاريخ المسلمين).[١] فهم يبحثون عن السقطات والزلات التي حدثت في التاريخ الإسلامي ثم يقومون بتضخيمها وعرضها على الناس ويتعمدون إهمال النصوص الأخرى والجوانب المشرقة والحقائق المنصفة تماما.

وقد استخدم المستشرق هاملتون جب منهج الانتقاء حين تحدث عن الخلاف الفقهي والسياسي بين المسلمين[٢] حيث قام بتضخيم الصور الفردية الشاذة وتعميمها على المسلمين.

والصواب في البحث العلمي أن (يبدأ الطالب دراسته للبحث عن جوهر الحقيقة دون أن يكون له رأي في بادئ الأمر... ودون أن تلعب به الأهواء أو توجهه الميول، فهو يبدأ دراسته لا ليبرهن على شيء، بل ليكشف شيئا... وهو مستعد أن يغير رأيا يكون قد كوّنه إذا جاء ما يستدعي هذا التغيير).[٣] فالمنهجية العلمية تقتضي أن يقرأ الباحث كل ما يقف عليه أو يقع تحت يديه من أدلة تتعلق بموضوعه، ولا يتعمد إغفال بعض الجوانب التي تتعارض مع فكرته المسبقة، بل إنه يبحث عن الآراء المخالفة له حتى يقف على مكوناتها وأدلتها، فربما كانت سببا في تراجعه عن فكرته أو يجد بها خللاً فينقدها نقدا علميا مجردا عن الأهواء والأغراض، (فالباحث كالقاضي النزيه الذي يسعى وراء الأدلة التي تنفي آراءه أكثر من تلك التي تؤيدها).[٤] حتى يصل إلى نتيجة يقينية قائمة على جمع وتمحيص كل الآراء، وإذا التزم الباحث بهذه المنهجية العلمية فإني يخدم فكرته بقوة، حيث إن حاجة الفكرة إلى من يعترض عليها أشد من حاجتها إلى يوافقها أو يستدل عليها، لأن الاستدلال على الفكرة يسهم في ميلادها، والاعتراض عليها يسهم في تجليتها وتصويبها، ومن ثم بقائها وانتشارها، وبقاء الفكرة وانتشارها أهم وأفضل من مجرد ميلادها.

---

[١] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: الأستاذ/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، صـ: ١٥٠. وانظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د/ محمود حمدي زقزوق، صـ: ٨٢.

[٢] وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٣٨- ٤٠ باختصار.

[٣] كيف تكتب بحثا أو رسالة: د/ أحمد شلبي، صـ: ٦ باختصار، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٨م.

[٤] فلسفة العلوم: د/ بدوي عبدالفتاح محمد، صـ: ٩٤، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠٠١م.

المطلب الرابع: **منهج البناء والهدم**.

يقوم منهج البناء والهدم على (عنصرين بارزين هما: البناء أولا، بمعنى الإطراء والمديح من قِبَل المستشرق لبعض جوانب الظاهرة موضوع الدراسة، ثم الهدم ثانيا، وفيه يجرد الباحث أهم أركان موضوعه من كل مقوماته حتى يسقطه تماما).[1]

وقد استخدم المستشرق "هاملتون جب" منهج البناء والهدم حين أكّد أن الدين الإسلامي قد انتشر في العديد من البلاد بسرعة كبيرة، وأنه ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات، بل هو مدنية كاملة[2] لكنه رجع ليهدم ما بناه، حين زعم أن الإسلام دين قاهر يتخذ من السلطة السياسية عاملا مساعدا في تعويض النقص الذي تمتاز به كل أنظمة الحياة الاجتماعية الإسلامية.[3] وفي هذا دليل على أنه يمدح بعض الظواهر الإسلامية بغرض أن يصدقه القارئ ويعترف له بالإنصاف، لكنه سرعان ما يُوَجّه ضرباته نحو هذا الدين من خلال الطعن في الأسس والمبادئ التي يقوم عليها.

وهذا المنهج يؤدي إلى حالة من الإحباط والشعور بالفشل لدى بعض المسلمين الذين لا يمتلكون الأدوات المنهجية والنصوص الاستدلالية على أصالة وقوة الثقافة الإسلامية، ويرجع السبب في هذه الحالة إلى قدرة المستشرق على جمع الأدلة التي تمدح وتمجد جانبا من جوانب الإسلام، مما يجعل القارئ يعتز بما لديه ويفخر بما معه، لكن يعود المستشرق فجأة ويتسلل من بين النصوص ليلقي العديد من الشبهات وينهي حديثة بكيل الاتهامات للعديد من الجوانب الفاعلة والأصيلة في الثقافة الإسلامية، وهذا يؤدي إلى الشعور بالإحباط والفشل والمسارعة إلى تقليد النموذج الغربي المعادي للثقافة الإسلامية.

والخلاصة أن منهج البناء والهدم هو حيلة ماكرة تعمل على تمجيد بعض الجوانب المضيئة في الثقافة الإسلامية بغرض إقناع القارئ بأن الكاتب من المنصفين، فإذا سلّم له بذلك فإنه يبدأ في نقد واتهام الجوانب الأساسية لهذه النقطة حتى يهدمها من أساسها أو ينفِّر الناس منها.

---

[1] () الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية: د/ محمد جلاء إدريس، صـ: ٤٦، دار العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

[2] () انظر: وجهة الإسلام: هاملتون جب، صـ: ٩.

[3] () انظر: المصدر السابق، صـ: ١٦- ١٧ بتصرف.

الخاتمة.

أ- النتائج.

أولا: حرص هاملتون جب على الانتقاص من دور المسلمين في بناء الوحدة وتحقيق التعايش، ونسبة الفضل في ذلك إلى الغرب المسيحي.

ثانيا: انتشار الإسلام واشتمال دولته على العديد من الأجناس والتقاليد أمرٌ لا يؤدي إلى غياب الوحدة الإسلامية، ليس لأن الإسلام يعترف بالتنوع في إطار الوحدة العامة.

ثالثا: لم يكن الإسلام في يوم من الأيام عامل قهر أو ظلم لغير المسلمين، لأنه يدعو إلى التعايش السلمي بين الناس جميعاً.

رابعا: سعى "جب" إلى إثارة الفتنة الطائفية التي تؤدي إلى هدم الوحدة الإسلامية.

خامسا: طعن "جب" في النظام السياسي الإسلامي مدعيا أنه استبدادي وقديم وعاجز عن مسايرة الحياة الحديثة بغرض فرض النظام السياسي الغربي على المسلمين.

سادسا: سار "جب" مع غيره من المستشرقين في الحرص على تفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيق روابطها.

سابعا: دعا "جب" الأمة الإسلامية إلى التخلي عن كثير من جوانب ثقافتها والتمسك بالثقافة الغربية زاعماً أنها مصدر الخير والنماء.

ثامنا: حرص "جب" على التسوية بين الدين الإسلامي والتسلط الكنسي داعيا المسلمين إلى الثورة على أحكام الإسلام.

تاسعا: اعتمد "جب" منهج إسقاط عيوبه على غيره والبحث عن الأدلة على أحكام مسبقة، وحرص على تضليل القارئ من خلال انتقاء النصوص والوقائع التي تخدم أغراضه الخبيثة.

ب- التوصيات.

أولا: ضرورة الكشف عن روافد الوحدة الإسلامية ورد الشبهات المثارة حولها.

ثانيا: بيان الحقائق التاريخية التي حرص هاملتون جب وغيره على تزييفها.

ثالثا: الحرص على معالجة الأخطاء والمشكلات التي رصدها "هاملتون جب" كمعوقات للوحدة الإسلامية، وكان منصفاً فيها.

رابعا: تقديم رؤية معاصرة تسهم في بناء الوحدة الإسلامية.

خامسا: على الأمة الإسلامية أن تتمسك بثقافتها، وتستند إليها في تحقيق الوحدة والتعاون ومواجهة الأخطار المحيطة بها.

سادسا: القيام بدراسة علمية تجمع رؤية المستشرقين لقضية الوحدة الإسلامية وتحليلها في إطار المنهج العلمي السليم.

المصادر والمراجع.

القرآن الكريم.

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د/ فريد الأنصاري، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

٢- آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية: د/ محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة ١٩٩٧م.

٣- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير– الاستِشراق– الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه: الأستاذ/ عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني (المتوفى : ١٤٢٥هـ)، الطبعة الثامنة، دار القلم دمشق١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

٤- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد: د/ عمر إبراهيم رضوان، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٥- أزمة الإنسان الحديث: تشارلز فرنكل، ترجمة: نقولا زيادة، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٥٩م.

٦- الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية: د/ محمد جلاء إدريس، دار العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.

٧- الاستشراق رسالة استعمار – تطور الصراع الغربي مع الإسلام: د/ محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٨- الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، أ. د/ محمد إبراهيم الفيومي، العدد/ ٣ من سلسلة قضايا إسلامية، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

٩- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، دار المعارف بالقاهرة ١٩٩٧م.

١٠- الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين: د/ شوقي أبو خليل، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٩٩٥م.

١١- الإسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش: د/ عبدالهادي الفضلي، الطبعة الأولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت ٢٠١٤م.

١٢- الإسلام والمستشرقون: د/ عبد الجليل شلبي، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٧م.

١٣- الإسلام وحاجة الإنسانية إليه: د/ محمد يوسف موسى، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.

١٤- أصول علم النفس: د/ أحمد عزت راجح، الطبعة السابعة، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨م.
١٥- الإصلاح الديني في القرن العشرين ـ الإمام المراغي نموذجا: أ. د/ محمد عمارة، العدد: ١٤٨، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، شوال ١٤٢٨هـ = نوفمبر ٢٠٠٧م.
١٦- الأعلام: للإمام/ خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين٢٠٠٢م.
١٧- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: تحقيق وتقديم: د/ محمد عمارة، الطبعة الأولى، دار الشروق بيروت ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.
١٨- أفكار ورجال – قصة الفكر الغربي: كرين برنتن، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥م.
١٩- الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: أ. د/ محمد عمارة، الطبعة الثانية، دار الشروق بالقاهرة ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.
٢٠- أنوار البروق في أنواء الفروق: الإمام/ أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.
٢١- البداية والنهاية: الإمام/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.
٢٢- التاريخ الإسلامي – الدولة العباسية: الأستاذ/ محمود شاكر، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
٢٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية – عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي: د/ مصطفى خالدي – د/ عمر فروخ، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت١٩٧٣م.
٢٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: الإمام/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ.
٢٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك: الإمام/ أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، الطبعة الأولى، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ١٩٧٠م.

٢٦- التعريف والنقد– المستشرق هاملتون جب وأعماله في الدراسات العربية الإسلامية ١٨٩٥ – ١٩٧١م: د/ سماء المحاسني، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠٠١م.

٢٧- التعريفات الفقهية: الشيخ/ محمد عميم الإحسان البركتي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

٢٨- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري – أو عصر النهضة في الإسلام: آدم متز، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ.

٢٩- حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بالقاهرة ٢٠١٣م.

٣٠- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك: أ. د/ محمود حمدي زقزوق، الطبعة الرابعة، العدد: ١٠٨، سلسلة قضايا إسلامية، إصدار: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

٣١- الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة: د/ جمال أحمد السيد جاد المراكبي، مطابع ابن تيمية بالقاهرة ١٤١٤هـ.

٣٢- الخلافة: الشيخ/ محمد رشيد بن علي رضا القلموني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مكتبة الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، بدون تاريخ.

٣٣- الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة كتاب تذكاري: إعداد/ عبدالله العمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

٣٤- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: أ. د/ عبد العزيز محمد الشناوي، مطبعة جامعة القاهرة، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٨٠م.

٣٥- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: الإمام/ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (المتوفى : ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٣٦- سنن أبي داود: الإمام/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ/ شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

٣٧- السيرة النبوية: الإمام/ عبد الملك بن هشام المعافري (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م.
٣٨- سيكولوجية الجماهير: غوستاف لوبون، ترجمة/ هاشم صالح، الطبعة الأولى، دار الساقي – لبنان ١٩٩١م.
٣٩- الشيخ المراغي بأقلام الكتاب: أبو الوفا المراغي، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م.
٤٠- صحيح البخاري= الجامع الصحيح المختصر: الإمام/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
٤١- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: الإمام/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.
٤٢- ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية أسبابها ووسائل علاجها: د/ محمد فاروق النبهان، العدد/ ١٣، مجلة دار الحديث الحسينية ١٤١٧هـ.
٤٣- الغزو الفكري أهدافه ووسائله: د/ عبدالصبور مرزوق، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٤هـ.
٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٥- فلسفة العلوم: د/ بدوي عبدالفتاح محمد، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر بالقاهرة ٢٠٠١م.
٤٦- القاموس القانوني الثلاثي– قاموس قانوني موسوعي شامل: موريس نخلة – روحي البعلبكي – صلاح مطر، الطبعة الأولى، منورات الحلبي الحقوقية بيروت ٢٠٠٢م.
٤٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: الإمام/ محمد بن علي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة: د/ عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٩٩٦م.
٤٨- كيف تكتب بحثا أو رسالة: د/ أحمد شلبي، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٨م.

٤٩- لسان العرب: الإمام/ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، دار صادر بيروت ١٤١٤هـ.
٥٠- المجتمع الإسلامي المعاصر: د/ محمد المبارك، دار الفكر بيروت١٣٩١هـ= ١٩٧١م.
٥١- مجموع الفتاوى: الإمام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.
٥٢- مختار الصحاح: الإمام/ محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت صيدا ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.
٥٣- مذكرات السلطان عبد الحميد: عبد الحميد الثاني، تقديم وترجمة: د/ محمد حرب، الطبعة الثالثة، دار القلم دمشق ١٤١٢هـ= ١٩٩١م.
٥٤- المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم: د/عوض الله جاد حجازي، ط/٦، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، بدون تاريخ.
٥٥- المستشرقون: الأستاذ/ نجيب العقيقي، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.
٥٦- المعجم الفلسفي: د/ جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، الشركة العالمية للكتاب بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
٥٧- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الطبعة الأولى، عالم الكتب ١٤٢٩ =هـ = ٢٠٠٨م.
٥٨- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
٥٩- معجم متن اللغة: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م.
٦٠- معجم مقاييس اللغة: الإمام/ أحمد بن فارس القزويني الرازي(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٦١- المغازي: الإمام/ محمد بن عمر الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي – بيروت ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.
٦٢- المفردات في غريب القرآن: الإمام/ أبو القاسم الراغب الحسين بن محمد الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ١٤١٢هـ.

٦٣- مناهج البحث العلمي: د/ عبد اللطيف العبد، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.
٦٤- المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده، د/ محمد عمارة، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٥م.
٦٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ.
٦٦- موسوعة المستشرقين: د/ عبدالرحمن بدوي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٣م.
٦٧- النظريات السياسية الإسلامية: د/ محمد ضياء الدين الريس، الطبعة السابعة، مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٦م.
٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: الإمام/ ابن الأثير محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٦٩- وجهة الإسلام- نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي: هاملتون جب وآخرون، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الطبعة الأولى، المطبعة الإسلامية بالقاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م.
٧٠- الوحدة الإسلامية: الإمام/ محمد أبو زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الرائد العربي بيروت لبنان، بدون تاريخ.
٧١- وحي الله - حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة - نقض مزاعم المستشرقين: أ. د/ حسن ضياء الدين عتر، الطبعة الأولى، دار المكتبي سورية دمشق ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.
٧٢- الوطنية وتعدد الثقافات في الفكر الإسلامي: د/ أحمد بن عبد العزيز الحليبي، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد:[١٩] العلوم التربوية والدراسات الإسلامية١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

الفهرس

المحتويات


والحمد لله رب العالمين